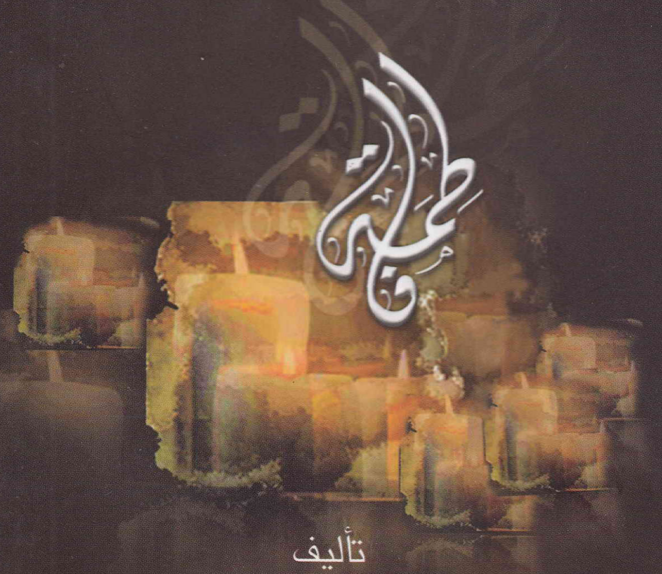
الليلة الفاطميّة

مقاربات بين ليلتين - القدر وفاطمة

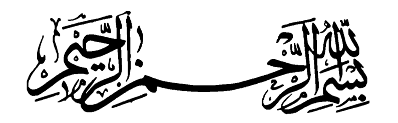


تأليف

السيد محمد علي الحلو

مكتبة الإمام الصادق (ع) العامة

العراق - النجف الاشرف

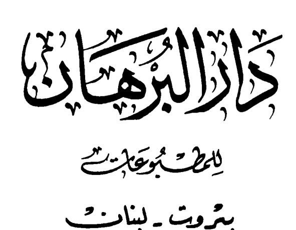

بسم الله الرحمن الرحيم




الليلة الفاطمية

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م



بيروت - لبنان

E-mail:alborhan2009@yahoo.com

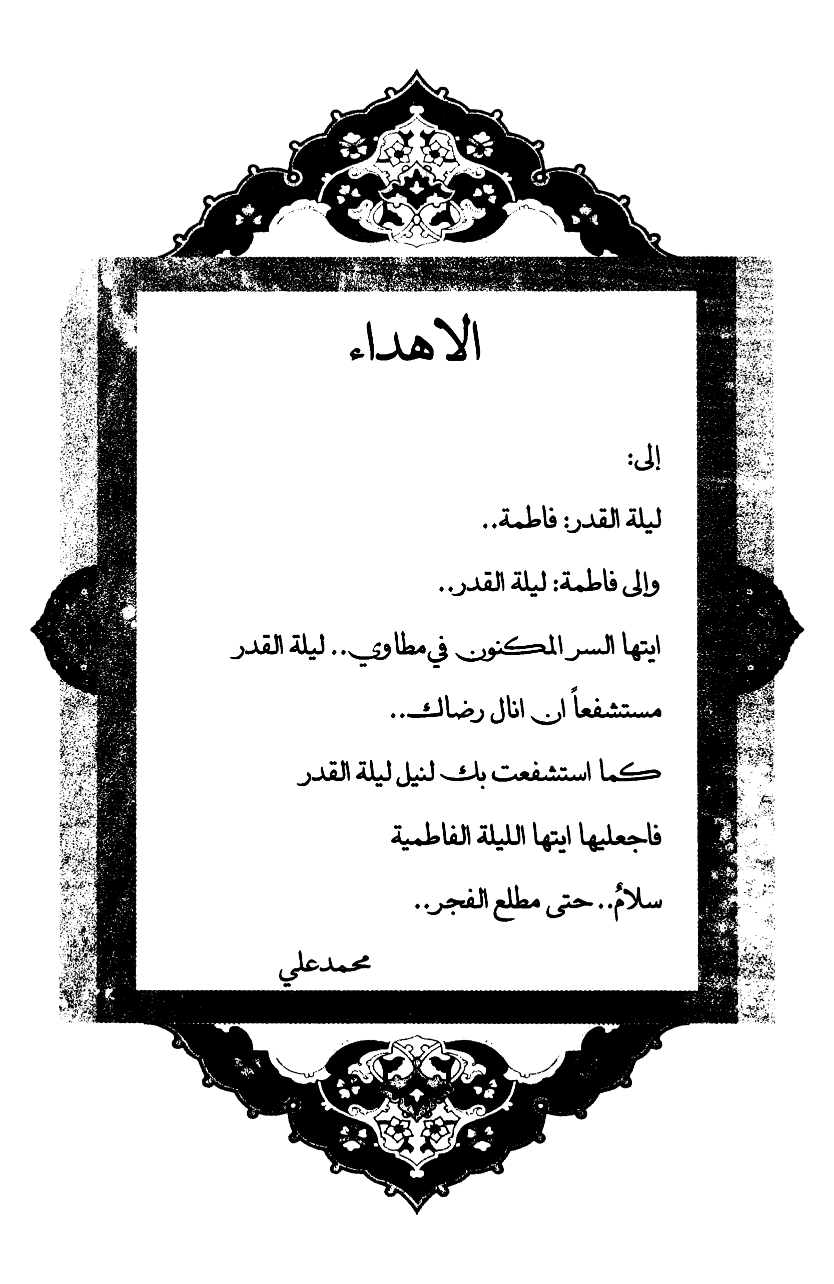
الليلة الفاطمية

مقاربات بين ليلتين.. القدر وفاطمة

تأليف

السيد محمد علي الحلو

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م



الاهداء

إلى:

ليلة القدر: فاطمة..

والى فاطمة: ليلة القدر..

ايتها السر المكنون في مطاوي.. ليلة القدر

مستشفعاً ان انال رضاك..

كما استشفعت بك لنيل ليلة القدر

فاجعليها ايتها الليلة الفاطمية

سلامٌ.. حتى مطلع الفجر..

محمد علي

بسم الله الرحمن الرحيم

"المشكلة التفسيرية" هي عنوان الأزمات الحادة التي أطاحت بالمدارس الإسلامية منذ نشوئها على أساس مبتنياتها العقائدية والتي أوجدتها حواضن سياسية غير ناضجة لتنتج بعد ذلك وليدا تنظيريا مشوها يتزعم مبتنياتها الأساسية ليقودها إلى مجاهيل تتخبط فيها الرؤى وتضطرب من خلالها الاتجاهات، ولا تدع مجالا للفكر السليم ان يتحرك ضمن مبانيه وأسسه، فتحال المدارس التفسيرية إلى "تنظيمات سياسية" متشنجة، أو "مراكز فكرية" منهزمة على خلفيات مواكبتها للنظام أو تداعياتها للوقوف ضد المدرسة التفسيرية الأصيلة التي يتزعمها أهل البيت عليهم السلام، وهكذا تنهض المدرسة التفسيرية الامامية بالرغم من كل محاولات التسويف تارة، أو التزييف أخرى لتقدم الرؤى وتحافظ على المبتنيات.. ولعل ذلك يتضح في "الحراك التفسيري" الذي تفرضه

سورة القدر، تلك السورة التي تحدد مصائر المدارس التفسيرية ضمن معطيات الروايات المبثوثة في صحاح المسلمين، بل وما يفرضها واقع سورة القدر والتي تخبر عن استمرارية مشروع النزول والتنزيل وحركة الروح والملائكة الصاعدة من وإلى السماء لترتسم ملامح الملحمة الإلهية لتنتظم البرنامج السنوي لكل مكونات الخلق والكون وما يرتبط فيهما وذلك من خلال التنزيل الأمري اللدني على الإمام المعصوم الذي يتلقى فيوضات ربه بعد تأهيلٍ يتناسب وحجم الحدث الذي تشهده عوالم الملك والملكوت، في حين تبقى المدارس التفسيرية الأخرى خارج نطاق الواقع لتحيل احداث ليلة القدر إلى مصادرات خطابية لا تخرج عن نطاق الاحتفاء بحدثٍ تاريخيٍ ليراد من ذلك إسدال الستار على أعظم حركة ملكوتية يحتفي بها أهل السماء لتحقيق ما من شأنه ان يساهم في تقدير أمور الخلق ضمن برنامجها السنوي الإلهي التنزيلي:

﴿ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا ﴾.

وهذا التنزل؛ تتعاطى معه الحركات التفسيرية السياسية على انه إحدى ذكريات الماضي والذي يفترض على المسلمين ان يجعلوه عيداً، ففي مثل هذه الليلة نزل القرآن، وانتهى الأمر إلى هذه الحدود الباهتة من التعاملات اللامسؤلة والتي "تذيب" الحقيقة القرآنية لتلغيها بكل واقعياتها وحقائقها..

من هنا نعلم الفرق الواضح بين مدرستين، بين مدرسة أحالت المفهوم القرآني إلى مبتنيات سياسية لامسؤلة، وبين مدرسة تسامت إلى حقائق ملكوتية تتناسب مع الجهد النبوي في تقديم القرآن على انه العطاء الإلهي الثر بكل حقائقه وجميع فصوله..

ان الجهد الذي يقدّم ليلة القدر على أنها فاطمة الزهراء، لحري به ان يستطيل بمعارفه المتكاملة ليقارن بين هذه الليلة المختومة بختم التنزيل، وبين فاطمة المختومة بختم النبوة، لترتبط حلقات القرآن النازل مع القرآن الناطق فتكون الإمامة ذلك الحبل الممدود من السماء إلى الأرض..

إشكالية المنهج المعرفي

لم يُعد المنهج المعرفي للتعاطي مع المرأة موحداً في خضم التوجهات الفكرية المتعددة، فقد اخذ مسارات عدة تختلف باختلاف فلسفات الطموحات الجماعية، أو تطلعات الرؤية الفردية التي تنظّر للمرأة تحت عناوين مختلفة، هويتها، شخصيتها، طموحاتها،حريتها، إبداعاتها إلى غير ذلك من تعدديات المعرفة وتوجهاتها.

وغدت المناهج المعرفية تتعدد بتعدد هذه الطموحات المعرفية ويمكننا الآن ان نحدد هذه المناهج إلى ثلاث:

أولاً- المنهج الغربي

حاول المنهج الغربي ان يتعامل مع المرأة على أساسياته المادية الصرفة، فهو لم يتح للمرأة «الإنسان» أن تمارس إمكانياتها الخلاقة بقدر ما جعلها تحت وصاية الرجل لكن بتقنيات ظاهرها حرية المرأة وحقيقتها امتهان كرامتها، في حين تحرص المنظمات الغربية ودوائرها السائرة في ركابها، أن تقدم المرأة على انها الحالة الأهم في تأسيسات المجتمع البشري مع حرصها على ممارسة حقوقها إلا أنها الحالة الأدنى في دائرة خدمة الرجل، ليتعامل معها على أنها ارخص السلع في تنفيذ رغباته ومشتهياته الجنسية، وهكذا تمتهن المرأة في المجتمع الغربي بعناوين شتى أهمها الحصول على حقوقها المادية وهي تستبطن عدم الضمان الأسري لحقوقها المادية فتتركها هائمة في التسابقات المادية لتطيح بكرامتها وتغتال عفتها بعد ذلك، وهكذا تبقى المرأة في المفاهيم الغربية رهينة المفهوم المادي المؤسس عليه النظام الغربي وبذلك فلم تحصل المرأة على حريتها وتشخيص هويتها في مثل هذا النظام.

ثانياً- المنهج العلماني

سعى المنهج العلماني إلى تهميش الرؤية الإنسانية للمرأة من خلال نزاعاته مع المنهج الإسلامي، ومحاولاته الإطاحة لهذا المنهج إذ لم يقدم المنهج العلماني عروضاً إلا على مستوى إلغاء الرؤية الإسلامية ومحاربتها

للإطاحة بتا في المجتمعات الإسلامية، فقد عجز المنهج العلماني عن تقديم البديل الأكمل مما قدمه البديل الإسلامي، وبقي هذا المنهج يتخبط في حيز الإلغاء للنظريات الإسلامية وإثارة الإشكالات، في حين لم يقدم سوى آراء متهافتة بين منظّر واخر، فالجميع في طور الإشكال والعجز عن تقديم الحلول فبقيت المناهج العلمانية متحيرة في تنظيراتها التي أربكت الخطاب العلماني وأحالته إلى خطاب مهزوم غير قادر على الثبات والإثبات.

ثالثاً- المنهج الإسلامي

كان للمنهج الإسلامي في طرحه للرؤية النقدية للمرأة الحظوة في هذا المجال، فقد احتفى هذا المنهج بإنسانية المرأة إلى حد استطاع ان يجد الأنموذج أو الأسوة، في حين فشلت المناهج الأخرى - كالغربية والعلمانية - في تحديد مسارات المنهج المعرفي بعد ان فشلت في إيجاد الأنموذج أو الأسوة.

أي أن نجاح المنهج الإسلامي في تعاطيه مع المرأة هو وجود الأنموذج، فكان هذا المنهج الذي يحمل معه الأطروحة الإسلامية بكل جوانبها ومبانيها هي فاطمة الزهراء عليها السلام، تلك المرأة التي أنجحت الخطاب الإسلامي ونضّجته إلى الحد الذي تحدى معه كل المناهج الوضيعة، واستطاع هذا المنهج ان يثبت جدارته في تقديم السيدة

الزهراء عليها السلام بأنها هي الأنموذج الأكمل لكل المباني الاجتماعية والسياسية والفكرية للمرأة.

الأنموذج أو الأسوة

قدّمت الرؤية الإسلامية خطاباتها المشفوعة بالأسوة أو الأنموذج الأكمل التي لابد أن تؤسس عليها رؤيتها في تنضيج المشروع الإسلامي الذي يحظى بالتأييد من قبل كل الفرقاء حينما يكون هناك حضوراً للأنموذج، وهذا الحضور لا تعززه مواقف الارتجال بقدر ما تقوده التجربة لتقدمها للأمة قراءةً ناضجةً رشيدة. فقد حفلت هذه الرؤية الإسلامية بتقديم الزهراء عليها السلام «الأنموذج أو الأسوة» وهو مشروعها النبوي الذي تعهد به صاحب الرسالة ليجعل من أولويات جهوده هو تقديم الأنموذج الأفضل المتمثل في ابنته فاطمة، على ان المشروع النبوي لم يأخذ بالاعتبار التعامل الأبوي الرتيب القائم على العلاقة بين الأب وابنته بقدر ما كان مشروعا يستودع فيه كل تجليات العظمة في هذا الأنموذج المثالي.

وقد سبق المشروع الإسلامي تقديم السيدة مريم نموذجاً أولياً في استشراف الماضي وقراءته قراءة تفحصٍ وتمعن، حتى انعتق من تقليديات المواقف الصاخبة ضد المرأة والنظرة المتشائمة المبنية عليه معطياته، وحينما تجاوز الأنموذج الأول وهي دراسة قرآنية استطلاعية لماضٍ عتيد

وأكد على إمكانية احتلال المرأة مهام الرسالات السماوية لتأخذ قسطاً وافراً من رسالة عيسى وتكون هي محور الأحداث التأسيسية التي بذلتها السيدة مريم عليها السلام لذلك نوّه عنها القرآن الكريم بنظرته التبجيلية:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ.. ﴾.

فكانت المهمة الرائعة التي أدتها السيدة مريم في حمل قسطٍ من رسالةٍ سماوية من أعظم النماذج التي قدمتها الرؤية الإسلامية في إمكانية المرأة وكونها جزءاً من الرسالات السماوية.

وبعد ان استكملت حلقة الفراغ في تشكيل المنظومة الفكرية الإسلامية وهي تتعامل مع مجتمعٍ عربي شديد الذكورية والهيمنة والتسلط على المرأة، استطاع المشروع الإسلامي ان يفك الحصار عن هذا التعامل المجحف مع المرأة ويروي لهم تجربة المرأة الرسالية، قدّم هذا المشروع تجربته الثانية المتمثلة في السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام ولكن الآن من وسطه العربي المغلق على ذكوريته بعد أن لم يتح للمرأة أن تتحرك في إطارها السيادي الإبداعي ليقتل حريتها بعد ان قتلها وأداً دون مراعاة لأدنى حقوق الإنسانية ليصل الأمر إلى أن يتعدى الأب على فطرته

التقليدية ليقوم هو بمشروع الوأد، ولم يكتفِ القرآن في تقديم الأنموذج وحده ما لم يعزز موقفه بخطابٍ استنكاري ينعى المؤودة ويلقي باللائمة على تلك الروح العدوانية لهؤلاء الذين تجرؤوا على قيم السماء ليردد « واذا المؤودة سئلت بأي ذنبٍ قتلت» حيث تعهد بالدفاع عنها وملاحقة المجرمين في حقها ليقتص منهم يوم القيامة يوم الجزاء الأكبر.

كانت تجربة السيدة الزهراء عليها السلام تنطلق من حرص الإسلام على تقديم الأنموذج الأكمل للمشروع الإلهي في تكريم المرأة وإظهار طاقاتها الخلاقة، وذلك حينما مهّد في امتصاص النظرة الدونية للمجتمع العربي الذي انف من المرأة أن تتطلع إلى أدنى حقوقها، في حين نجد أن المرأة في الأطروحة الإسلامية تقّدم هذا المشروع الإلهي من خلال تقنين العلاقة بين الزهراء - البنت - وبين النبي - الأب - وبين فاطمة - الرعية- وبين النبي -القائد- بل بين الزهراء -الشريكة في الرسالة - وبين النبي -صاحب الرسالة- وهكذا تتحد شخصية المرأة في الزهراء عليها السلام على انها البنت المثالية، والرعية المنقادة، والشريكة لكنها التابع لرسالة السماء ومبلغها صلوات الله عليه وعلى اله.

ولم تنحصر تكريم الزهراء في الجهد النبوي على انها البضعة، وهي الامتداد، وهي الجزء الفاعل بل الفعال في رسالة السماء، فانها سمت في مقاماتها حتى صارت تُقرن بليلة القدر، بل هي ليلة القدر، تلك الليلة

التي كانت من أهم المفاهيم القرآنية والشؤون السماوية التي نالت القسط الأوفر من اهتمام المسلمين، لنجد ان فاطمة عليها السلام هي تلك الليلة أو شريكتها في الشأنية والتعظيم.

محذور المفهوم في الرؤية والعقيدة

من هنا نستوضح مفهوم الأسوة في الرؤية الإسلامية حين تعاطيها مع المرأة لتقدم السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام الأنموذج الأكمل في هذا المجال، إلا ان ذلك لعله يصطدم لدى البعض بعقبتين خطيرتين:

الأولى: الخشية من الغلو.

الثانية: الوقوع في التقصير.

على ان هاتين العقبتين هما نتيجة التردد أو الاضطراب في فهم التكليف ولياقة المسؤولية لدى البعض حتى تعتريهم حالات التردد والتزلزل العقدي الذي يعاني منه الكثيرون.

اما الخشية من الغلو فسببه عدم إدراك المقام الحقيقي للأسوة والخوض في متاهات التهم غير الواقعية التي يتصورها البعض أو فقدان الثقة ليورث حالات الانهزامية التي تصوّر له حالات الغلو فيما إذا أراد أن يتعاطى مع الأسوة فينتج بسببها التقصير الذي يتسبب في تقليل الشأن الواقعي للأسوة وينتج من جراء ذلك ظلماً لمثل هذه المقامات، وهو ما

حدث في التعاطي مع مقامات السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام لدى البعض مما يجعل الكثير من النصوص الواردة في شأن السيدة فاطمة عليها السلام في مورد التهمة -تهمة الغلو- وبذلك من خلال هذا سيسحق تراثاً نبوياً كبيراً، وسيعتدي على مبانٍ من شأنها ان تعزز النظرة العامة للمرأة إذا ما روعيت مقامات السيدة الزهراء عليها السلام، ومن تلك المقامات شراكة السيدة فاطمة عليها السلام مع ليلة القدر في كثيرٍ من المهام والذي سيتكفلها بحثنا القادم.



ليلة القدر.. بين مدرستين

حفلت ليلة القدر بين المداس الإسلامية المختلفة باهتمام ليس له نظير، كون هذه الليلة تحظى باهتمام القرآن الكريم لتكون خيراً من ألف شهر، ودأب المسلمون على إحياء هذه الليلة مع اختلافهم في تشخيصها، فمنهم مَن ظنها انها ليلة الثلاث والعشرين من رمضان وآخرون ليلة السبع والعشرين منه وتراوحت هذه الليلة بين الليالي الوتر الأخيرة من الشهر الكريم.

إلا أن البحث الآن يأخذ منحى آخر، وهو التحقيق في الجهود المبذولة من قبل الفرقاء الإسلاميين في ماهية هذه الليلة وكيفية نزول الملائكة وعلى من تتنزل..

وتعددت الآراء حيال ذلك فمنهم من حاول ان يقدّم ليلة القدر على انها ليلة كغيرها من الليالي الا ان الله زادها شرفاً بنزول القرآن الكريم واحتفى المسلمون بها كونها إحدى الذكريات المهمة في هذا الشأن، لذا فالقضية لا تتعدى عن كونها حادثة تاريخية يُحتفل بها بأعظم مناسبة وهي ذكرى نزول القرآن.

والآخرون حاولوا إعطاءها لوناً اخر من التكريم كونها تنزل فيها الملائكة، لكنها لم تحدد ماهية النزول وعلى من تنزل، لذا اختلفت القراءات الإسلامية لشخصية ليلة القدر وتعددت محاولات الاحتفاء بها لكنها لم تصل إلى مستوى التنظير والبحث العلمي.

من هنا لابد لنا من الوقوف على هذه المدارس ليتسنى معرفة التوجهات العامة في الاحتفاء بهذه الليلة وأهميتها لدى المسلمين.

أولاً- ليلة القدر عند المذاهب الإسلامية الأخرى

حظيت ليلة القدر في المفهوم الإسلامي العام بإهتمام واسع على المستوى العام، حيث يحتفل المسلمون بهذه الليلة لإحيائها بتلاوة القرآن والاحتفالات الواسعة كونها عيداً اسلامياً إذ « حق على المسلمين ان يتخذوا هذه الليلة عيداً لهم» كما في تعبير المراغي عند تفسيره لهذه السورة. وواضحٌ ان هذا الأسلوب من التعاطي من قبل هؤلاء المفسرين يظهر فيه إفراغها من محتواها الحقيقي، إذ المتعين من قبل هؤلاء المفسرين ان يتعاملوا مع هذه الليلة بجدية اكبر مما هم عليه، لا ان يكون تعاملهم على أساس المعطى السياسي الذي يتعاملون معه، أو على أساس المعطى الفكري الذي ينتمون إليه، أو على أي أساس اخر يبعدهم عن القضية القرآنية المشار إليها.

النموذج التفسيري المنتمي

ان مشكلة التفسير الذي يتبناه بعض مفسري المدارس الإسلامية تصطدم بحقائق لم يكونوا غافلين عنها إلا أنهم يحاولون ان يجدوا صيغاً تفسيرية لئلا تتعارض مع مبتنيات الحاكم، وبمعنى آخر فإن للحاكم القيمومة التفسيرية في تحديد القضية القرآنية المبحوثة،وعلى هذا فإن حالة الانتماء التي يعاني منها المفسر تبعده عن الحقيقة العلمية ليقع في معطيات المخالفة العلمية الواقعية وبذلك فإن التفاسير هذه لا تعطي الحقيقة المتوخاة التي يبحث عنها القارئ ليقف على المراد ألقراني، بل تبعده عن الواقعة القرآنية إلى متاهات التجهيل فيفقد عند ذاك المفسر مصداقيته العلمية، وسنقف عند بعض النماذج المنتمية :

أولاً: المراغي وعيد ليلة القدر

المراغي احمد مصطفى نحى في تفسيره إلى بيان خطابي يستعرض فيه أهمية ليلة القدر، ويتعاطى مع هذه الليلة بسذاجةٍ واضحة، إذ يصف ليلة القدر بأنها عيداً للمسلمين لما لهذه الليلة من ذكرى عزيزة على قلوب المسلمين بنزول القرآن، واليك بعض خطابياته :

قال: «ليلة القدر خير من ألف شهر، لأن ليلة يسطع فيها نور الهدى وتكون فاتحة التشريع الجديد الذي انزل لخير البشر، ويكون فيها وضع الحجر الأساسي لهذا الدين الذي هو آخر الأديان الصالح لهم في

كل زمان ومكان، هي خيرٌ من ألف شهر من شهورهم التي كانوا يتخبطون فيها في ظلام الشرك وضلال الوثينة، حيارى لا يهتدون إلى غاية ولا يقفون عند حد.. وأي عظمة أعلى من عظمة ليلة يبتدي فيها نزول هذا النور والهداية إلى الناس بعد ان مضت على قومه صلى الله عليه وآله وسلم حقب متتابعة وهم في ضلال الوثنية.

وأي شرفٍ ارفع من شرف ليلة سطع فيها بدر المعرفة الإلهية على قلب رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.. فحق على المسلمين ان يتخذوا هذه الليلة عيداً لهم، إذ فيها بدأ نزول ذلك الدستور السماوي، «تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر» أي تنزلت الملائكة من عالمها الروحاني حتى تمثلت لبصره صلى الله عليه وآله وسلم، وتمثل له الروح «جبرئيل» مبلغاً للوحي، وهذا التجلي على النفس الكاملة بإذن ربهم بعد ان هيأه لقبوله ليبلغ عباده ما فيه الخير والبركة لهم.

ونزول الملائكة إلى الأرض شأن، من شؤونه تعالى، لا نبحث عن كيفيته فنحن نؤمن به دون ان نحاول معرفة تفاصيله وأسراره، فما عرف العالم بعد علمه المادي بشتى وسائله إلا النذر اليسير من الأكوان كما قال تعالى:

﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾.. [١]

---

(١) تفسير المراغي ٢٠٨: ٣٠-٢١٠ دار احياء التراث العربي بيروت

انتهى بعض كلام المراغي، ومن المؤسف ان يتعاطى المفسر مع أهم القضايا القرآنية بهذه اللهجة من السذاجة والتجهيل حتى تختفي الحقائق القرآنية خلف هذه المحاولات التفسيرية المذعورة من بيان الحقائق.

ثانياً: القاسمي أستاذ المراغي وخطابياته الأخرى

لم يختلف محمد جمال الدين القاسمي المتوفي ١٣٢٢ عن سابقه مصطفى المراغي الذي قرأنا خطابياته التفسيرية، فهما من مسلكٍ واحد وهو مسلك الإبهام والتجهيل الذي يحصّن مبتنيات الانتماء التفسيري الذي يبتلى به المفسر فيذهب يمينا وشمالاً دون الوقوف عند حد. لذا نجد ان القاسمي يسلك هذا المنحى ويعيد تجربته الخاسرة عند تابعهِ المراغي واليك نموذجاً من خطابيات التفسيرية:

قال القاسمي في تفسيره ليلة القدر: «ليلة القدر خيرٌ من ألف شهر» فكرر ذكرها ثلاث مرات ثم أتى بالاستفهام الدال على ان شرفها ليس مما تسهل إحاطة العلم به، ثم قال: (أنها خير من ألف شهر) لأنه قد مضى على الأمم آلاف من الشهور وهم يتخبطون في ظلمات الضلال فليلة القدر يسطع فيها نورالهدى خير من ألف شهر من شهورهم الأولى.. (تنزل الملائكة والروح فيها) يخبر جل شأنه أن أول عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بشهود الملائكة والروح (بإذن ربهم) أي إنما تتجلى الملائكة على النفس الكاملة بعد ان هيأها الله لقبول تجليها..

(تنزل الملائكة) وقوله (فيها يفرق كل أمر حكيم) مع ان المعنى ماضٍ لان الحديث عن مبدأ نزول القرآن لوجهين:

الاول: لاستحضار الماضي لعظمته على نحو ما في قوله (وزلزلوا حتى يقول الرسول) فإن المضارع بعد الماضي يزيد الأمر تصويراً والثاني: لأن مبدأ النزول كان فيها..

الثاني: حكى الحافظ ابن حجر في فتح الباري قولاً عن بعض العلماء ان ليلة القدر خاصة بسنة واحدة وقعت في زمان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولعل ما صح أنها رفعت [1].

ولنا على ما ذكره القاسمي في وجهيه وجهين:

الأول: ان استحضار الماضي في سورة القدر على نحو «وزلزلوا» في غير محله، إذ سورة القدر تحكي عن مضارعة الافعال جميعا «تنزل الملائكة والروح فيها» فالمضارعة لم يخالطها ماضٍ كما في «زلزلوا» على أن إتيان الماضي مع المضارع له معنى غير ما ادعاه القاسمي فقد ذكر العلماء ان ذلك يحتمل وجوه:

الأول: ان يكون بمعنى «إلى» فيكون وزلزلوا إلى ان قال الرسول،أو بمعنى كي كما في قولك أسلمت حتى ادخل الجنة وتقديره: أسلمت كي ادخل الجنة فالإسلام قد كان والدخول لم يكن..

---

(١) تفسير القاسمي ٣٦٢:١٧ـ٣٦٣ دار احياء التراث بيروت

والثاني: ان يكون كلا الفعلين السبب والمسبب قد مضى فيكون السبب قد مضى والمسبب لم يمضِ.

الثالث: ان يكون الفعلان جميعاً قد مضيا نحو سرت حتى ادخلها، فالدخول متصل بالسير بلا فصل.

وقد أشار إلى هذه الوجوه الطبرسي في بيانه وأخذنا منها موضع الحاجة. [١]

الوجه الثاني: ولا نحتاج إلى رد الوجه الثاني إذ ذلك منافياً مع مقتضيات استمرارية القرآن الكريم وانه باقيا مادام الليل والنهار فارتفاعه يعني تعطيله وارتفاع ليلة القدر يعني ارتفاع القرآن مع ان القرآن يؤكد استمرارية هذه اليلة فلا يمكن ان تلغى ذلك بمجرد دواع شخصية مفروضة على المفسر بشكل سافر يلغي جميع المباني والحيثيات والثوابت.

إلى غير ذلك من انتهاكات تفسيرية تفرض على المفسر ليفرضها على الحقيقة القرآنية فيصادر معها كماً هائلاً من المعارف الإلهية المفاضة على العباد بلطفه سبحانه.

ثالثاً: البروسوي واغتيال الحقائق القرآنية

لم يعجب البروسوي الشيخ إسماعيل حقي بن مصطفى الحنفي المتوفي ١١٢٧، لم يعجبه ان يذكر ليلة القدر بخطابيات مجردة عن روايات

---

(١) مجمع البيان للطبرسي ٥٤٥:١ دار المعرفة بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٨

تصور لنا المشهد الذي يجب ان يكون عليه القدر في مخيلة البروسي الحنفي، ولا يكتفي بهذه الاتحافات حتى يعززها بروايات تحرص على وصف المشاهد الملائكية وكيفية نزولهم ليستغفروا لأهل الأرض، وهو ينحاز إلى المشهد التصويري ليفلت عن حقائق قرآنية اسمى من محاولات البروسي التصويرية وأمثاله.

قال: «تنزل الملائكة والروح فيها» استئناف مبني لما له فضلت على ألف شهر واصل ينزل تنزل بناءين والظاهر ان المراد كلهم للإطلاق وقد سبق معنى الروح في سورة النبأ، وقال بعضهم: انه ملك لو التقم السماوات والارضين كانت له لقمة واحدة، أو هو ملك رأسه تحت العرش ورجلاه في تخوم الارض السابعة، وله ألف رأس كل رأس أعظم من الدنيا وفي كل رأس ألف وجه وفي كل وجه ألف فم وفي كل فم ألف لسان يسبح الله بكل لسان ألف نوع من التسبيح والتحميد لكل لسان لغة لا تشبه الأخرى فإذا فتح افواهه بالتسبيح خر كل ملائكة السماوات سجداً مخافة ان يحرقهم نور افواهه وإنما يسبح الله غدوة وعشية فينزل تلك الليلة فيستغفر للصائمين والصائمات من امة محمد عليه السلام بتلك الافواه كلها إلى طلوع الفجر.. [١]

آمنا بالله وبقدرته التي لا يحدها حد، نحن لسنا في شك بقدرته

---

(١) روح البيان في تفسير القرآن ٤٩٤ : ١٠ دار الكتب العلمية بيروت طبعة الأولى ٢٠٠٣

تعالى فهو المفيض على خلقه بأنواع الألطاف، وقدرته فوق ما يتصوره المتصورون، وأعظم مما يصفه الواصفون لكننا في شك من مصداقية البروسوي عن محتواه العلمي القيمي، إلى مشاهد تجرد الايات القرآنية عن معارفها الموضوعية واحتبسها في قنواتها الضيقة دون ان يراعي المراد القرآني بكل دواعيه، فنزول الملائكة ومهامها أوكلها إلى المشاهد التصويرية التي تشغل الباحث عن الوقوف على حقيقة التنزيل في ليلة القدر، وبذلك يلغي عظمة هذه الليلة والمهام العظمى لرسل الله المنزلة على الإمام بوصف يأخذ فيها طولا وعرضا دون ان يوقفنا على المراد، وهذه حالة من حالات اغتيال الحقيقة.

رابعاً: مختصرات القرطبي

لم يطل القرطبي في ماهية ليلة القدر ولم يكن بحاجة إلى الاطالة بناءً على إبعاد المفردة القرآنية عن موضوعيتها، وروعيت الجوانب الشخصية في إقصاء المعرفة ليبتعد عن دواعي الحكمة القرآنية إلى مقتضياته الخاصة.

قال: « تنزل الملائكة » أي تحيط من كل سماء ومن سدرة المنتهى ومسكن جبريل على وسطها، فينزلون إلى الأرض ويؤمنون على دعاء الناس، إلى وقت طلوع الفجر فذلك قوله تعالى«تنزل الملائكة»[1]

هذا ما عند القرطبي من بيان وهو أمر مؤسف ان يتعامل مع

(١) الجامع الاحكام القرآن ١٣٣ : ٢٠ دار احياء التراث العربي بيروت ١٩٨٠

أعظم قضية قرآنية بهذا الجفاء وعدم الاعتناء الذي صار ديدن الكثيرين المفسرين ليجنوا على الحقائق القرآنية ويصادروا الكثير من الحقائق.

خامساً: الفخر الرازي ومحنة الحقيقة

يتحرر الفخر الرازي من خطابيات المفسرين وتقليدياتهم ليرتقى إلى الوقوف على الحقائق القرآنية دون ان يصل إلى أعماقها، بل هو يحوم حولها مراعياً جوانب انتماءاته الفكرية التي تعارضها الكثير من الحقائق القرآنية. فالتصريح بنزول الملائكة على أئمة أهل البيت عليهم السلام لا ينسجم ومبانيه الفكرية التي التزمها واسس عليها مدرسته، لذا نراه يحوم حول هذه الحقيقة القرآنية ويبقى أخيراً في حيرة الاعتراف، على ان الملائكة لابد ان تنزل لأمرٍ خطير غير التسليم والمصافحة للمؤمنين ـ كما يحلو لبعضهم ان يهوّن من خطورة ليلة القدر ـ بل لأمر آخر قال في النزول: "من كل أمر قدر" في تلك السنة من خير وشر، وفيه إشارة إلى ان نزولهم إنما كان عبادة: فكأنهم قالوا: ما نزلنا إلى الأرض لهوى أنفسنا لكن لأجل كل أمر فيه مصلحة للمكلفين، وعم لفظ الأمر ليعم خير الدنيا والاخرة بيانا منه انهم ينزلون بما هو صلاح المكلف في دينه ودنياه.[1]

و الفخر الرازي بعد اعترافه بهذا المعنى وهو نزول الملائكة «لأجل

---

(١) التفسير الكبير ٢٣٥ : ١١ دار احياء التراث العربي بيروت ٢٠٠٨

كل أمر فيه مصلحة للمكلفين » أبهم هذا الأمر وأجمل ذكره، ثم هو لم يوقفنا على من يتنزل هذا الأمر وما الذي يفعله الملائكة بهذا الأمر، وماهية هذا الأمر هل هوشئ مادي أم أمر غيبي لا تحيط به افهامنا وادراكاتنا، وإذا كان كذلك فلابد ان يكون التنزيل لهذا الأمر لم يبلغه أي إنسان بل لابد ان يكون إنسانا كاملا وهو المعصوم فالتردد الذي ابتلي به الفخر الرازي هو التردد الذي عم الكثير من المفسرين في إظهار الحقيقة القرآنية المكتمة لدى الكثير يحدوهم الخوف ويساورهم القلق من إثبات حقائق تتنافى ومبتنياتهم الفكرية والعقائدية فضلا عن عين الرقيب الحاكم وملاحقات السلطة.

هذه هي لمحة من توجهات المدارس التفسيرية لكنها السلطوية، بمعنى ان مراعاة الوضع السلطوي الحاكم قدمته على المادة المعرفية فأحالت التفسيرية إلى مفردات إرضاء الحاكم وتهميش الحقيقة مهما أمكن بل ومهما كلف الأمر.

ليلة القدر في المدرسة الامامية

ان ما يميز المدرسة الامامية في تعاطيها مع ليلة القدر، كونها ليلة مباركة لكنها تتجاوز في ذلك الخطابيات التي تخرج هذه الليلة عن غايتها وتتعدى حدود الذوق إلى غايات أسمى في التعاطي مع أعظم ليلة «تنزل الملائكة والروح فيها»، فالإقرار بنزول الأمر عينيا ما لم يكن لهذا التنزيل

رعاةً ربانيين يرعونه ويديرون أمره، خلاف ما تردد فيه غيرهم من ان هذا النزول للأمر يكون على ارض تخلو من حجة لله يدبر الأمر عند ذلك التنزيل فيكون غير مجد بعد ذلك.

ان ما يميز المدرسة الامامية في تعاطيها مع ليلة القدر كونها ملازمةً للسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام حيث البحث عن معالم الاشتراك بين ليلة القدر والسيدة الزهراء عليها السلام كان جهدا متميزا أبدعت فيه مدرسة أهل البيت أيما إبداع مما أعطى بُعداً آخر لهذه الليلة وحيوية امتازت بها عن غيرها من الليالي الأخر، وكان لمقامات السيدة الزهراء عليها السلامحضورا متميزا في مفاهيم هذه الليلة العظيمة مما زادها شأنا وإكراما وإعظاما، وسنتابع في مطاوي هذا البحث الاحتفاء الذي تميز به شيعة أهل البيت عليهم السلام في تقرير العلاقة المشتركة بين سيدة الليلة وبين ليلتها المتميزة.

مناقب فاطمة برواية أهل البيت عليهم السلام

حرص أئمة أهل البيت عليهم السلام في بيان مناقب السيدة الزهراء عليها السلام رواية يتلقاها اللاحق عن السابق ليؤسسوا بذلك ملحمة روائية توثق فيها مكانة السيدة الزهراء ومنزلتها الإلهية كونها عليها السلام تمثل المشروع الإلهي الذي يمتد بامتداد أهل البيت عليهم السلام، لذا فان هذه المنزلة الفاطمية تعطي تصورا مهما حيال مشروعية أهل البيت

لدى الأمة، وهي في الوقت نفسه تعزز من موقفهم عليهم السلام لتكون لهم الحجة البالغة في مشروعهم الإلهي الذي من خلاله أكدوا على أحقيتهم في خلافتهم الإلهية والتي ورثوها عن جدهم المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.. وقد شكلت قضية السيدة الزهراء منعطفا خطيرا في تسيير الأحداث الإسلامية نحو وصيتها الحقيقية بعد ان تفاقمت أزمات الادعاءات الباطلة والتوجهات المنحرفة التي استحوذت على حقوق أهل البيت بل وحقوق الأمة في الإبقاء على القيادة الشرعية.

فمن تلك الروايات:

أولاً: روى في عوالم العلوم عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال:

دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على علي وفاطمة عليهما السلام واخذ بعضادتي الباب وقال:

السلام عليكم أهل بيت الرحمة وموضع الرسالة ومنزل الملائكة.

يا بنية ان الله سبحانه وتعالى اطلع على أهل الأرض اطلاعة فاختار أباك فجعله نبيا، ثم اطلع الثانية فاختار منهم زوجك عليا فجعله لي اخاً ووصيا.

ثم اطلع الثالثة فاختارك وأمك فجعلكما سيدتا النساء.

ثم اطلع الرابعة فاختار ابنيك فجعلهما سيدي شباب أهل الجنة.

فقال العرش: أي ربي ابني نبيك زيني بهما فهما يوم القيامة في ضفتي العرش بمنزلة الشفتين من الوجه. (١)

ثانياً: روى المجلسي بسنده عن موسى بن إسماعيل عن أبيه عن موسى بن جعفر عن آبائه عليهم السلام قال:

قال علي عليه السلام: ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دخل على ابنته فاطمة عليها السلام وإذا في عنقها قلادة فأعرض عنها فقطعتها فرمت بها، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أنت مني يا فاطمة. ثم جاء سائل فناولته القلادة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: اشتد غضب الله وغضبي على من اهرق دمي وآذاني في عترتي. (٢)

والملفت ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم انصب اهتمامه بما سيعانيه أهل بيته من بعده، لكن الغريب ان كلامه الشريف جاء في

---

(١) باب انها سيدة نساء العالمين: ١٠٣

(٢) البحار ٢٢: ٤٣

سياق ذكر فاطمة وما فعلته في تخليها عن القلادة وإعطائها للسائل، فجاء تعليق النبي صلى الله عليه وآله وسلم في سفك دماء عترته مباشرةً بعد ذكره لفاطمة مما يشير إلى انه صلى الله عليه وآله وسلم قصد في ذلك ما يجري على فاطمة ومصيرها المحزن الذي ستعانيه من القوم ضرباً واسقاطاً وتنكيلاً.

ثالثاً: ما رواه أبو محمد الكرخي عن الصادق عليه السلام: قالت فاطمة:

لما نزلت:

﴿لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾.

هبت رسول الله ان أقول له يا ابة، فكنت أقول: يا رسول الله؛ فاعرض عني مرة، واثنتين أو ثلاثا، ثم اقبل علي فقال، يا فاطمة انها لم تنزل فيك ولا في اهلك، ولا في نسلك، أنت مني وأنا منك، انما نزلت في أهل الجفاء والغلظة من قريش، أصحاب البذخ، قولي يا ابة فإنها احيا للقلب وأرضى للرب. [1]

و عن جعفر الصادق عليه السلام:

ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لفاطمة: يا فاطمة

---

(١) مناقب آل أبي طالب لأبي شمر اثوب ٣٦٧:٣ انتشارات ذوي القربى ١٤٢١

ان الله عزوجل يغضب لغضبك ويرضى لرضاك.

قال: فقال المحدثون بها، قال: فأتاه ابن جريج فقال:

يا أبا عبد الله، حدثنا اليوم حديثا استشهره الناس.

قال:

وما هو؟

قال: حديث لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لفاطمة:

ان الله ليغضب لغضبك ويرضى لرضاك.

قال: فقال عليه السلام:

نعم ان الله ليغضب فيما تروون لعبده المؤمن ويرضى لرضاه؟

فقال: نعم.

فقال عليه السلام:

فما تنكرون ان تكون ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرضى الله لرضاها ويغضب لغضبها.

قال: صدقت؛ الله اعلم حيث يجعل رسالته. [1]

---

(١) عوالم العلوم: فاطمة الزهراء (عليها السلام) للشيخ عبد الله البحراني: ١٢١

و في رواية عن جعفر بن محمد ان السائل صندل قال لأبي عبدالله عليه السلام: ان هؤلاء الشباب يجيؤنا عنك بأحاديث منكرة.. إلى آخر الرواية التي مرت. إلا إننا نتساءل عن مغزى هذه الرواية ولماذا التأكيد على فضائل فاطمة من قبل أئمة أهل البيت وحث شيعتهم على ذلك؟!

لأنها.. اقصر الطرق

و الرواية تشير إلى ان حركة الشباب من اجل تبليغ فكر أهل البيت عليهم السلام كانت في أوجها، وان هذه الفئة من المجتمع كانت تتحمل مهمة صد الأفكار المعتادة لأهل البيت عليهم السلام ولذا فان صندل ـ الشيخ الكبير ـ استنكر ما يقوم به الشباب من حركة عنيفة تصان بها مبادئ أهل البيت ومبتنياهم من اجل صد الحركات الفكرية المناوئة لأطروحتهم، وهو أمر يبعث على التسائل، وهو: هل كان رواية الفضائل من الخطورة إلى الحد الذي تخلى عنها الأكثر وتبناها مجاميع الشباب لنجد الاعتراضات من هنا وهناك يتلقاها أئمة أهل البيت للدفاع عن قضيتهم ؟!

يبدو الأمر هكذا؛ فالقضية الفاطمية أهم إحدى اهتمامات أهل البيت عليهم السلام، فقد وجدوا في قضية أمهم فاطمة عمق المظلومية التي يعيشها أهل البيت وشيعتهم، فضلا عن تفاعل الأئمة مع هذه القضية فهي إذن أصبحت اقصر الطرق لنيل حقوقهم أو على اقل

التقدير فهي اقصر الطرق لإيقاف خروقات السلطات الحاكمة التي ادعت المشروعية تعديا على حقوق أهل البيت المهضومة.

لقد وجد أهل البيت عليهم السلام ان من أهم القضايا التي تثير انتباه الأمة إلى مظلوميتهم وإلى تعدي أعدائهم على حقوقهم هي قضية الزهراء لذا فإنها صارت من طلائع القضايا التي بذل أهل البيت عليهم السلام جهودهم في تحشيد الرأي العام في كل آن حتى أفزعت السلطات التي تتوجس من إثبات حقوقهم والتي سيكون من مآلها إلى إدانتهم في كل الأحوال.. مما دعى السلطات إلى محاولة التعتيم على الأمر الفاطمي بكل ما تملك من وسائل عنف أو مطاردة أو تعتيم على الحقائق ـ ولعل هذه في أولويات جهودهم فضلا عن كونها اخطر الوسائل وأشدها ـ.

من هنا نعرف كيفية حرص أهل البيت على إشاعة روح المظلومية الفاطمية في نفوس شيعتهم وأوصوهم بالحفاظ عليها مهما كلفت التضحيات فإنها قضية أهل البيت كما هي قضية شيعتهم التي بها يصولون في كل محافل المحاججات وممارسات إثبات الحقوق.

ولعل خلاصة الجهود التي بذلت في هذا الشأن هو ما أوضحه عبدالله بن موسى بن عبد الله بن الحسن.

فقد روى الجوهري في كتابه السقيفة وفدك قال: حدثني المؤمل بن جعفر قال: حدثني محمد بن ميمون قال حدثني داود بن المبارك قال:

اتينا عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام ونحن راجعون من الحج في جماعة، فسألناه عن مسائل وكنت احد من سأله، فسألته عن أبي بكر وعمر.

فقال: أجيبك بما أجاب به جدي عبد الله بن الحسن، فانه سئل عنهما فقال: كانت أمنا صديقة ابنة نبي مرسل، وماتت وهي غضبى على قوم، فنحن غضاب لغضبها.[1]

ولعل ذلك ينسجم مع ما أجاب به الإمام الرضا عليه السلام لأحد أولاد البرامكة حين سئله ما تقول في أبي بكر وعمر.

فقال له: سبحان الله والحمد لله ولااله إلا الله والله اكبر.

فألح السائل عليه في كشف الجواب فقال عليه السلام: كانت لنا أم صالحة وهي عليهما ساخطة، ولم يأتنا بعد موتها خبر انها رضيت عنهما.[2]

و أنت ترى حراجة الموقف ودقة الجواب الذي يحمل أطروحة تخالف أطروحة النظام القائم بكل تفاصيلها، ولعل ذلك سيكلف الإمام كثيرا فيما إذا أراد الجواب، إلا انه آثر إظهار الحقائق وبيانها بغض النظر عن كل التبعات التي تترتب على كشف الحقائق، فان أمر إخفاءها اشد

(١) شرح النهج ١٦ : ٢٣١

(٢) نفس المصدر : ١٢٢

خطراً من كل اجراءات النظام المحتملة التي سيتخذها للحد من بيان الحقيقة ووضوحها، وهو ابلغ بيان وأعظم رسالة ارسلها الإمام لشيعته للحفاظ على كشف الحقائق دون إخفائها ولعل ذلك يحدث من الخلط بين التقية التي قد يتخيلها البعض وبين بيان الحقائق وتوضيحها، والكياسة هي إحراز الموازنة بين جانب التقية للحفاظ على النفس والمال والعرض، وبين ان لاتذهب الكثير من الثوابت لتندثر بسبب فقدان هذه الموازنة المطلوبة والتي تختل ـ خصوصا في يومنا هذا ـ بسبب عدم وضوح الرؤية والخلط بين الأحداث.

و هذه الأجوبة المفعمة بالتحدي لأنظمة تقوم على تقديس الأول والثاني أريكها بشكل أطاح بشرعيتها وهي لا تقوى على مخالفة تاريخية الإجابة المؤلفة لكل الأدلة والبراهين التاريخية ومن كلا الطرفين، مما يعني ان الجهود التي بذلها أئمة أهل البيت عليهم السلام في الحفاظ على حقيقة هذه المظلومية أطاحت بأنظمة اتكئت في شرعيتها على أحداث السقيفة العنيفة وتداعيات ذلك اليوم المشحون بالتحديات لآل محمد ولجدهم الذي غادرهم وفي حلقه غصة الاحداث التي قرأ فيها الغيب كما قرأ واقع الاحداث المؤلمة والمتوثبة برسالته وبأهل بيته عليهم السلام.



المنهج النبوي..

والتأصيل للقضية الفاطمية..

وردت أحاديث عدة تؤكد مكانة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام وذلك من خلال ما أكده النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو من خلال ما بثه أئمة أهل البيت عليهم السلام ولم تقف هذه الأحاديث النبوية عند حدود العلاقة النسبية التي تربط النبي صلى الله عليه وآله وسلم بابنته فاطمة، بل تطاولت هذه المراتب إلى ما وراء ذلك، أي كانت العلاقة التي تربط النبي بفاطمة «علاقة رسالة» أكثر من كونها علاقة بنوة، فالنبي لم يبعث من اجل توطيد علاقاته النسبية بينه وبين أهل بيته بقدر ما هي علاقةٌ رسالية تستبطن معها اسرار التبليغ وتعزز في مكنونها ادلجة التقنين الإسلامي في إظهار أشخاصه الرساليين الذين لابد لهم من بروز استثنائي ليتسنى لهم اداء دورهم الرسالي التبليغي الذي يستلزم إظهار مقاماتهم ومنزلتهم، لذا فالعلاقة بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبين فاطمة لم تكن علاقة بنوة بقدر ما هي علاقة مسؤولية،

تنطلق من خلال مهام الرسالة ودواعيها ومهامها الغيبية التي لا يقف عليها إلا المعصوم، فضلا عن علاقتها الأبوية التي ترتقي فوق علاقة الأبناء بالإباء، ومن غير اللائق ان تُقرأ أحاديث النبي الدالة على مقامات فاطمة وحبه لها بعلاقة بنوة ساذجة تستند على روابط القربى وأواصر العلاقة العائلية.

والأغرب من ذلك اتهام النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأنه وظّف علاقته الخاصة لابنته فاطمة دون بناته الأخريات: زينب، رقية، أم كلثوم، مما يكشف النقاب عن هذه القراءة وسذاجتها الواضحة، فلو تنزلنا ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد خص ابنته فاطمة دون بناته الأخريات بهذه المكانة والشفقة والمحبة والاهتمام لاتهمناه -لا سامح الله - بأنه اب لم يحسن العلاقة مع عياله ولم يعدل في محبته مع الأخريات من بناته فكيف يؤتمن على إدارة شؤون رعيته؟!، وإلا ما معنى ورود الأحاديث الكثيرة - بل التي فاقت حد الإحصاء بعد إن أخفقتها أكثر سياسات الأنظمة الجائرة - والتي وردت في حق ابنته فاطمة دون ان يرد ولو حديثاً واحداً في حق الأخريات من بناته، وكم تابعنا فلم نجد ما يشجع هذا الانطباع العام الذي يصرُ عليه الكثير بعنادٍ غير مبرر من ان للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث بنات أخريات من خديجة وهن أخوات فاطمة، فلو تنزلنا لذلك فلا نجد سوى ان الاهتمام النبوي بسيدة

النساء يدور بين أمرين:

الأول: ان فاطمة تميزت عن الأخريات من أخواتها بعلاقة المحبة التي تتميز بها البنت الصغرى - كما هو متعارف عادةً - لذا فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم استجاب لعاطفته في ابنته المتميزة «فاطمة» وخصها دون الأخريات من بناته فأورد أحاديث التبجيل والمحبة لها دون غيرها، وهذا لعمري طعنٌ في مقام النبي وفي عدالته وكونه غير مؤهل - لا سامح الله - في تحمل اعباء هذه الرسالة الشاقة والمهمة الصعبة التي لابد له من ان يتنازل عن كثير من رغباته الشخصية من اجل إنجاحها وإتمامها، وإلا كيف يرضى النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذا التمييز غير المبرر على بناته الأخريات اللواتي يشعرن بغبن العلاقة بين الأب الذي هذّب العلاقات الأسرية وأوصى بعدالة التعامل بين الأولاد وان لا يفضّل احدهما على الاخر حتى ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أنه نظر إلى رجل له ابنان فقبّل احدهما وترك الآخر، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

فهلا ساويت بينهما؟[(١)].

من هنا يُعرف اهتمامه صلوات الله عليه وعلى اله بالمساواة بين الأبناء وعدم التفريق بينهما حتى بالقُبلة، فكيف وهو نبي الرحمة، وسيد

---

(١) محسن عقيل/ ينابيع الحكمة ٢: ٢٢٧

الأخلاق، وعصمة المكارم تأخذه حالات العاطفة ليفضل بعض بناته على غيرها دون مبرر يذكر؟

دليلان على مانذهب إليه:

ولو اردنا تصحيح ذلك فلم نجد سوى ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن له سوى فاطمة ابنته الواحدة الوحيدة دون نساء الأمة، وهو فخر لا يدانيه فخر، لذا كان وحدانيتها للنبي صلى الله عليهم وآله وسلم هي إحدى محاججاتها في اخطر الظروف التي تمر بها الرسالة النبوية، بل وجود أهل البيت المقدس والمهدد بالفناء من قبل عصابات ذلك اليوم المجتمعة من اجل الانتزاء على مقدرات السماء ووراثة النبي الأقدس وللاستدلال على ذلك نذكر ما تيسر لنا من دليلين نقوي بهما ما ذهبنا اليه:

الدليل الأول: ان هذا الأمر الخطير أوضحته السيدة الزهراء في خطبتها فأشارت إلى هذه العلاقة الشريفة بقولها:

أيها الناس اعلموا إني فاطمة وأبي محمد، أقول عودا وبدوا ولا أقول ما أقول غلطا ولا افعل ما افعل شططا

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

فإن تعزوه وتعرفوه تجدوه أبي دون نسائكم...».

ومن الخطبة نستشعر ان فاطمة عليها السلام تفتخر على نساء الأمة بقول مطلق وانها بنت النبي دون غيرها من النساء، ولو كان للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بنات غير فاطمة لما افتخرت بوحدانيتها هذه على نساء الأمة، ولواجهت اعتراضات المتربصين بان ذلك ليس مورد فخرٍ، حيث تشاركك الأخريات من بنات النبي في هذه الأبوة المقدسة، ولكان عثمان - زوج أم كلثوم - أول المعترضين على هذه الوحدانية النسبية التي أعطت للسيدة الزهراء عليها السلام زخما من الحجة الدامغة ومساحةً واسعةً من القيمومة لتتحرك وسط هذا الصخب الجارف من الادعاءات ولكان عثمان أولى من علي إذ يشترك معه بالمصاهرة في اثنتين من بنات النبي - رقية وأم كلثوم - كما هو المدعى ولقويت حجة الاخرين وضعفت حجة الزهراء وسطوتها التي ارهبت جموع الخارجين على الوصية الإلهية في ذلك اليوم الخطير.

الدليل الثاني: ما ذكره سليم بن قيس من تصريح المسلمين المتخاذلين عن نصرة أهل البيت عليهم السلام بقولهم حينما وجدوها قد دفنت وانهم قد قصروا معها وانه:

«لم يخلف نبيكم فيكم إلا بنتا واحدة».

وإليك مقطعاً من هذا الموقف المتخاذل الذي يرويه لنا سُليم بن

قيس في كتابه قال: ثم ان المسلمين لما علموا بوفاتها عليها السلام جاءوا إلى البقيع فجدوا فيه أربعين قبراً جدداً فأشكل عليهم قبرها من سائر القبور فضج الناس.. ولام بعضهم بعضاً وقالوا: لم يخلف نبيكم فيكم إلا بنتاً واحدة، تموت وتدفن ولم تحضروا وفاتها والصلاة عليها.. ولا نعرف قبرها ونزورها ![1]

وكان ذلك دليلاً على انها خليفة النبي صلى الله عليهم وآله وسلم ولا يشكل علينا ان بناته توفين في حياته صلى الله عليهم وآله وسلم، نعم لم يثبت إلا وفاة رقية زوجة عثمان وقتلها والقصة المعروفة وغيرها لم تثبت وفاتها بدليلٍ يطمئن إليه.

لذا انصبت علاقته عليها دون غيرها وهو أمر طبيعي، اما غيرهن من البنات: زينب، رقية، ام كلثوم فهن ربيباته وهو مختارنا في كثير من البحوث.

الثاني: لو تنزلنا بأن للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بناتٌ اخريات غير فاطمة فلابد من تصحيح هذه العلاقة - خصوصية الاهتمام لفاطمة دون غيرها من بناته - فإن ذلك لا يعدو من كونها علاقة لا تتعدى كل المناسبات الخاصة النسبية خصوصاً، حتى تسمو إلى علاقة الرسول برسالته، والتي تترفع عن الدائرة الشخصية العائلية الضيقة إلى رحابٍ

---

(١) كتاب سليم بن قيس الطبعة المحنقة ٢ : ٨٧١

أوسع من الترتيب الإلهي الذي يعضّد الرسول برسالته، ويمتّن حركته التبليغية إلى أدوات التأصيل الرسالي التي تمنح الرسالة اصالةً أخرى تفوق المعطيات الشخصية بدائرتها الضيقة، في حين ستمنح علاقة النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع فاطمة التي تمثّل الأنموذج الإلهي للتجربة المحمدية الفريدة في امتداد الرسالات الإلهية وبتاريخها المشحون بالشخصيات الرجالية الفذّة، في حين ستكون فاطمة الزهراء «التجربة المحمدية المعجزة» في تاريخ رسالة الخاتم، والتي ستُقدم من خلالها فاطمة تجربة البشرية بعصارتها الأخلاقية الكاملة وجهادها المتقن من اجل الحق ضمن تاريخها الرسالي المديد، والجهادي الرائع، من هنا فلابد من تصحيح قرائتنا لهذه العلاقة المحمدية - الفاطمية والتي تتعدى حدود البنوة إلى مساحات التبليغ الرسالي الشاسعة التي تتحمل تاريخاً من العطاء الفذ.

من هنا عرفنا مدى الاهتمام الواسع الذي اولاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم لابنته فاطمة فهو لم يكن اهتمام بنوة بقدر ما كان اهتمام رسالة بلّغ فيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن مقام ابنته فاطمة، ونوّه عن عظيم خطرها وجليل شأنها مراعياً في ذلك مقتضيات الرسالة ودواعي المهمة التي تعني فاطمة جزءاً منها، لتشكل وجودها القدسي أهم دعائم الرسالة المحمدية.

ما أولاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم من عظيم الاهتمام في شأن فاطمة عليها السلام

بالرغم من محاصرة التراث النبوي من قبل السلطات الحاكمة التي ضربت طوقا كبيرا من الحصار على أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم لإلغاء الشرعية المتمثلة بأهل البيت عليهم السلام الذين يتمتعون بشرعيةٍ نبويةٍ خاصة أولاها النبي لهم كجزء من مقتضيات رسالته المباركة ودواعيها الموجبة لإظهار مكانتهم والتنويه على فضلهم، لذا فان الحاكم سيجد نفسه محاصراً بشرعية أهل البيت وقد غصب حقوقهم واعتلى على مقاماتهم ظلماً دون حق.. من هنا وجدت الأنظمة السياسية نفسها مضطرةً لمقارعة الحديث النبوي الذي يشكِّل حجيةً إلهية تغدق على أهل البيت عليهم السلام، ولتجد الأمة نفسها مضطرةً في الحفاظ على هذا التراث النبوي المهدد من قبل السلطات الحاكمة ويبقى الصراع دائراً بين الشرعية المفقودة الممثلة بأهل البيت عليهم السلام والأمة التي تستشعر بواجباتها في الحفاظ على التراث النبوي والذي هو بمثابة الوصية النبوية في أهل البيت.

من هنا تجد الأحاديث النبوية التي نوّهت بمقامات فاطمة وفضلها تأخذ طريقها بالرغم من وعورته ومشقته والمتمثلة بملاحقة السلطات لمثل هذا التراث - خصوصا - ليخرج من بين ركامات الملاحقة

والتنكيل بالراوي والرواية الكثير من الأحاديث النبوية التي تشيد بمكانة فاطمة عليها السلام وتؤكد على عظيم شأنها.

لقد تقاسم أحاديث المنزلة الفاطمية علماء المسلمين في الرواية والحديث متحدين كل محاصرة النظام ومضايقاته من اجل الحفاظ على الوصية النبوية في أهل بيته وخصوصاً فاطمة الزهراء التي تحتل مكانتها الخاصة في هذا التراث النبوي الضخم، لذا نجد ان علماء المسلمين لم يتوانوا عن مداولة هذه الأحاديث وروايتها، والتأكيد على شأن السيدة فاطمة الزهراء ومكانتها متجاوزين كل عقبات السياسة ومطاردات النظام.

ما رواه أهل السنة في مناقب فاطمة عليها السلام

شكّلت الخصائص الفاطمية منعطفاً كبيراً في الروايات الإسلامية، وتجاوز الرواة القراءات السياسية بكل توجهاتها، وحاولوا ان يضفوا على الرواية الفاطمية خصائص التقديس والتعظيم التي لم تحفل بها روايات أخرى مؤكدين على عظيم هذه المنزلة وشرف هذه المكانة. فما رواه البخاري في صحيحه عن المسور بن مخرمة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:

فاطمة بضعةٌ مني فمن أغضبها أغضبني [(١)].

وعن أبي سعيد الخدري انه صلى الله عليه وآله وسلم مر في السماء السابعة وقال:

فرأيت فيها لمريم وأم موسى ولاسية امرأة فرعون ولخديجة بنت خويلد قصورا من ياقوت، ولفاطمة بنت محمد سبعين قصرا من مرجان احمر باللؤلؤ أبوابها وأسرتها من عود واحد [(٢)].

وروى كذلك عن أبي أيوب الأنصاري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد ثم ينادي منادٍ من بطنان العرش: ان الجليل جل جلاله يقول: نكسوا رؤوسكم وغضوا إبصاركم فإن هذه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تريد ان تمر على الصراط [(٣)].

---

(١) صحيح البخاري باب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم باب مناقب فاطمة (عليها السلام) دار الجبل بيروت

(٢) أهل البيت لتوفيق أبو علم: ١٥٦ مطبعة السعادة القاهرة.

(٣) نفس المصدر.

وفي لفظ رواية كنز العمال للمتقي الهندي:

فتمر مع سبعين جارية من الحور العين كمر البرق [١].

وروت عائشة قالت: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: يا معشر الخلائق طأطنوا رؤوسكم حتى تجوز فاطمة بنت محمد [٢].

وروي عن مجاهد قال: خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو اخذ بيد فاطمة فقال: من عرف هذه فقد عرفها، ومن لم يعرفها فهي فاطمة بنت محمد، وهي بضعة مني وهي قلبي، وروحي التي بين جنبي، فمن آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله [٣].

بيليوغرافيا الأحاديث

ولم تزل هذه الأحاديث الشاهدة على مكانة السيدة فاطمة عليها السلام وعظيم منزلتها يتناقلها القوم صاغرا عن كابر حتى صارت من متواترات الأحاديث المعتمدة، ولم تشأ الدراسة ان تستوعب كل الأحاديث، الا انها لم تشأ تغفلها، فإن دراسة بيليوغرافية توقفنا على كل هذه الجهود ليتسنى لنا مدى الاهتمام الذي أولاه النبي صلى الله عليه

---

(١) كنز العمال للمتقي الهندي ٩١:١٣ طبع حيدر اباد.

(٢) جامع الأحاديث : حديث ٢٤٦٩

(٣) أهل البيت توفيق أبو علم : ١٣٥

وآله وسلم لفاطمة الزهراء الدعامة الثانية للرسالة بعد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الذي صار اسمه مصاحباً لكل التحولات التي شهدتها رسالة السماءالخاتمة.

ومن اجل ان نقف على ما قدمه علماء أهل السنة من الأحاديث المتواترة في فضل فاطمة الزهراء عليها السلام نستعرض هذه البيليوغرافيا الحديثية وكما وقفنا عليها في المصادر المعتبرة:

١- فاطمة بضعة مني ونور عيني.

أهل البيت لتوفيق أبو علم: ١٢٤.

٢- فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني.

الجامع الكبير لجلال الدين السيوطي.

٣- فاطمة بضعةٌ مني يسرني ما يسرها ويغضبني ما يغضبها.

أهل البيت توفيق أبو علم.

٤- فاطمة بضعةٌ مني يقبضني ما يقبضها.

المصدر نفسه.

٥- فاطمة بضعةٌ مني يوذيني ما آذاها ويريبني ما ارابها.

المصدر نفسه.

٦- فاطمة بضعةٌ مني ينصبني ما ينصبها.

المصدر نفسه.

٧- فاطمة بضعةٌ مني من أغضبها أغضبني.

التبصرة للسبط ابن الجوزي ٢٥٤ : ١ .

٨- فاطمة بضعة مني.

المناقب لابن المغازلي الشافعي ٣٨١.

٩- قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لفاطمة: أنت مني وانا منك.

المصدر نفسه.

١٠- أحب أهلي إلي فاطمة الزهراء.

نظم المتناثر في الحديث المتواتر للكناني المغربي: ١٢٥ .

١١- فاطمة أحب إلى رسول الله وعلي اعز.

المدهش لأبي الفرج ابن الجوزي: ١٣٩ .

١٢- كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقبل فاطمة في فيها.

أهل البيت توفيق أبو علم: ١٢١ .

١٣ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لفاطمة :

فداكِ ابوكِ.

الفتوحات الربانية للشيخ محمد ابن علان الصديقي الشافعي ٢٢٢ : ١.

١٤- من سلّم على النبي وعلى فاطمة في حياتهما وموتهما ثلاثة أيام دخل الجنة.

المناقب لابن المغازلي : ٣٦٣.

١٥ ـ إذا خرج النبي إلى سفر كانت فاطمة اخر الناس عهداً وإذا قدم من السفر كانت فاطمة أول الناس عهداً مسند احمد بن حنبل ٢٧٥ : ٥.

١٦- يا فاطمة اصبري على مرارة الدنيا لنعيم الاخرة.

كنز العمال ٦٩ : ١٤.

١٧- أول شخص يدخل الجنة فاطمة.

الدرر واللال في بدائع الأمثال للاني اللبناني : ٢٠٧

١٨- ان الله يغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها.

المناقب لابن المغازلي : ٣٥١.

١٩- فاطمة سيدة نساء العالمين.

كنز العمال ٢٨١ : ١٩.

٢٠- فاطمة سيدة نساء يوم القيامة.

أهل البيت توفيق أبو علم : ١٣٤ .

٢١- فاطمة سيدة نساء أهل الجنة.

كنز العمال ٢٨ : ١٦ .

٢٢- فاطمة خلقت حورية في صورة إنسية.

المناقب لابن المغازلي : ٣٦٩.

هذه بعض ما وقفنا عليه من كتب أهل السنة تشييداً لما ذهبنا إليه من كون فاطمة وحيدة النبي صلى الله عليهم وآله وسلم وتنويهاً على مكانة فاطمة وتتحدث عن الاهتمام الذي أولاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم لفاطمة، وهو اهتمام ينبع من مقتضيات الرسالة ودواعي التبليغ، ولم يكن هذا الاهتمام ينصب ضمن دواعٍ شخصية تدفع به صلى الله عليه وآله وسلم لبيان منزلة فاطمة عنده، فذلك يتعارض مع حكمة الرسالة ومقتضيات النبوة التي ما فتأت تؤكد الترفع على العلاقات الشخصية ومداراة المصالح الخاصة.

ولعل ما يؤكد هذا تأكيد القران الكريم على ضرورة عدم التعامل الشخصي في حركة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وترفعه عن محاباة أحدا من أهل بيته أو وجهاء قومه.

لذا فقد تحدّث عن العلاقة بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبين أهله دون النظر إلى الرحم والقرابة، بل علاقةالايمان هي التي تحدد هذه العلاقة النسبية.

كانت العلاقة بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبين أبي لهب وصلت إلى حالة من الانقطاع التام، وتحددت هذه العلاقة الرحمية على الأساس الايماني المحدد لنوع العلاقة وحجمها تبعاً للكفر والإيمان وليس على الأساس النسبي مع ما كانت هذه الأسس النسبية والروابط القربية في مجتمع قبائلي عنيف فلم تشفع لأبي لهب الوساطة النسبية ان يمتنع النبي صلى الله عليه وآله وسلم من إعلان الموقف القرآني لهذا الأنموذج الطاغي المتكبر فكان ان تحدثت الآيات الكريمة:

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ﴾.

فكان ذلك انذاراً عاصفاً بكل العلاقات النسبية التي تتجاوز حدود الكفر والإيمان، فمقياس العلاقة الطيبة بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبين أهل بيته تتجاوز مرحلة القرابة إلى مرحلة التقييم الرسالي الذي يتجاوز معه كل حدود الأسرة والعشيرة.

ويبدو لي ان البيان ألقراني للعلاقة النسبية بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبين عمه احد أولاد عبد المطلب المعروف بأبي لهب هي لتأطير العلاقة النسبية بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبين أهل بيته، بل لحماية العلاقة الرسالية بين النبي وبين ابنته فاطمة الزهراء عليها السلام، لئلا تصادر هذه العلاقة إلى علاقة ساذجة من النسب والعاطفة، لذا فذكر قصة أبي لهب في القران هي لقطع دابر الاحتمالات التي تصيّر هذه العلاقة الإلهية ـ علاقة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بابنته فاطمة عليها السلام ـ إلى علاقة عاطفية تُمسخ معها معطيات رسالية خطيرة.

ولا اجدُ متسعا من الوقت ان استعرض بقية الأحاديث التي رويت عن طريق علماء الامامية، ولعل التكرار غير مجدٍ في هذه الموارد بقدر التأكيد على ان كلا الفريقين اتفقا على رواية هذه الأحاديث وعداها من المتواترات اللفظية وكذا المعنوية.

الحجية الفاطمية

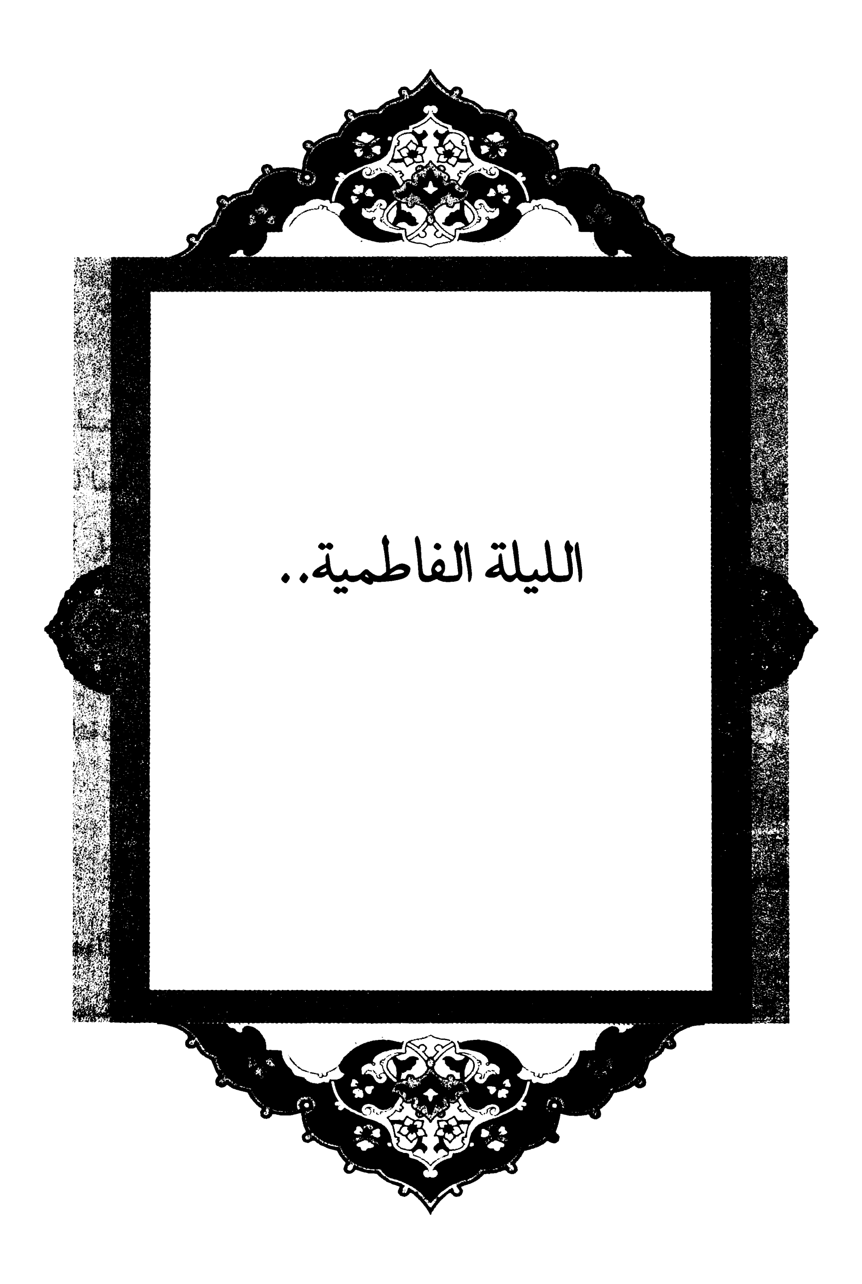
لا زالت العلاقة الرابطة بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبين ابنته فاطمة تدور ضمن مدارات الحجية الواسعة النطاق والتي اغدقتها السماء على هذا الأنموذج الكامل.

وإذا اطلقنا مصطلح الحجة على المقام الأنموذج الذي يتعهد

بترتيب العلاقة بين النتيجة والبرهان فان ذلك من باب التغليب، حيث إطلاق السبب وارادة المسبب هو ما تعارف كثيراً في المحاورات المجازية، فالحجة التي يتسببها البرهان هو المقصود من هذا الإطلاق، في حين نجد ان البحث في الحجة هو بحثاً في الدليل الذي يعطي النتيجة المتوخاة للحصول على محاججة الخصم وهي غلبته.

من هنا أمكننا ان نطلق على فاطمة عليها السلام بأنها الحجة الذاتية معززةً بالجعل النبوي، أي ان صياغة الأنموذج الإلهي المتمثل بفاطمة عليها السلام هو الأنموذج الأمثل الذي يحمل في ذاته حجيته، فضلاً عن الترتيب النبوي الذي سعى إليه صلى الله عليه وآله وسلم في تنظيم مقام الأنموذج الأمثل وهو فاطمة.

لذا فإننا سنقف على أحاديث نبوية تؤكد حجيتها عليها السلام وذلك من خلال التعرض إلى بعضها، ومن ثم سنجد ان حجية الزهراء المستقطبة من هذه الاحاديث النبوية تتصاعد وتيرتها كلما حصلنا على حديث يعزز من شأنية هذه الحجية.



الليلة الفاطمية..

ليلة وما ادراك مـا تلـك الليلـة، فهـي صـاحبة الأمـر، وهـي صـاحبة التنزيل، وهي لا تقارنها ليلةٌ أخرى لأنها خير من ألف شهر لم يكن فيها ليلـة قدر.. انها ليلةٌ ذات قدر لـشأنها، وذات قـدر لـشرفها، ففيهـا يقـدّر كـل أمـر حكـيم.. انهـا ليلـةٌ يظهـر فيهـا شـأن آل محمـد صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم ومقامهم وعلو منزلتهم عند الله، فما أعظمها من ليلةٍ وما أكرمها عند الله..

وإذا كان الامرُ كذلك فان هذه الليلة لها قصتها ومكانتها لتختلف عن بقية الليالي الآخر.

ملك بني أمية التحدي المروّع للرسالة

كان الأمويون مقهـورون بالـدين الجديـد، فقـد تحـدى كبريـاءهم، وأرغم طغيانهم وأذل سطوة الكفـر والخـيلاء الـتي كانـت قـريش تـصول وتجول فيها، وكان آل أبي سفيان جزءاً مـن هـذا الواقـع المريـر والوجـود المتحدي لكل إصلاح تأتي به السماء على يد «محمد» ذلك اليتيم الهاشمي الذي لم تحفل قريش بخيلائها ان تستمع منـه وهـو يهـديها إلى الله جلـت

عظمته، وبقي ذلك الهاشمي الأمين، والفتى الصادق يتحدى إرادة قريش بإرادة الله حينما جاءهم بالدين الجديد، وأوترهم بالحق وحطّم اسطورهم ليدخل مكة ذلك الحصن الذي جمعهم على محاربة الدين الجديد لتُحال «مكة الفتح» إلى مهبط الفيوضات.. وال أبي سفيان يستصغرهم واقعهم الذي الغى كل فروقات الطبقية والقبلية، فكان عمار حليف مخزوم خير من أبي سفيان شيخ قريش، وكان بلال الحبشي يخترق بآذانه أسماع آل حرب ليُخضعهم بعد ذلك إلى الواحد الأحد، وكان سلمان الفارسي يقدّمه النبي صلى الله عليه وآله وسلم على بني أمية أسياد الجاهلية ليجعله من أهل البيت، وهكذاخضعت كبرياء آل حرب إلى القبول لهذه التحولات الجديدة، وادخرت لنفسها حسداً وحقداً وكبرياءً على الدين الجديد ليقتنصوا الفرص فيكونوا سادة القوة، ورموز الغلبة لتقهر آل النبي صلى الله عليه وآله وسلم على ارتقاء منابرهم المغصوبة، وحقوقهم المهضومة فيراهم صلى الله عليه وآله وسلم في منامه منكشفةً له حقائق قادم الأيام ليوحى له أنهم يصعدون على منبره «ويضلون الناس عن الصراط القهقرى»[1]، ولم يلبث جبرئيل بعد ان حكى له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رؤياه حتى يهبط عليه بعطاء ربه الذي لا يوازى معه عطاء، فيوحي اليه «انا أنزلناه في ليلة القدر».

---

(١) تفسير البرهان ٤ : ٤٨٦ تفسير سورة القدر.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بني أمية يصعدون على منبره من بعده ويضلون الناس عن الصراط القهقرى فأصبح حزيناً، قال فهبط عليه جبرئيل فقال: يا رسول الله ما لي أراك كئيباً حزيناً؟ قال: يا جبرئيل إني رأيت بني أمية في ليلتي هذه يصعدون منبري من بعدي، ويضلون الناس عن الصراط القهقرى قال: والذي بعثك بالحق نبياً انني ما اطلعت عليه، وعرج إلى السماء، فلم يلبث ان نزل عليه بآية من القرآن يؤنسه بها:

﴿ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴾.

وانزل عليه:

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾.

جعل الله لنبيه ليلة القدر خيراً من ألف شهر من ملك بني أمية»[١].

---

(١) المصدر نفسه

وهكذا تندمل جراحات النبي صلى الله عليه وآله وسلم التي تتركها في قلبه تلك الرؤيا وقد أدمت قلبه ليرى بعد جهده هذا ان يرث الأمر اشد أعدائه وابغضهم إليه.

فكيف ستكون هذه الآيات من سورة القدر جابرةً لحزن النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي ارهقته نبوءته في بني أمية؟!

ليلةٌ بديلة..

كيف ستكون ليلة واحدة أفضل من ألف شهر، وحكم بني أمية الذين توارثوها ليحرفوا معالم الدين، ويستبدلوا بالهدى الضلال، «ليضلوا الناس عن الصراط القهقرى» كما في تعبيره صلى الله عليه وآله وسلم. لقد كان لروايات أهل البيت الاثر في فلسفة الليلة البديلة وتفسيرها بانها الأفضل من ألف شهر يحكم فيها بنو أمية يحرفون موارد حكم الله، ويخادعون فيها عباد الله، ويؤثرون شهواتهم على كل ما أمر الله تعالى به.

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله عزوجل:

«خيرمن ألف شهر» قال: ملك بني أمية، قال: قوله «تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم» أي من عند ربهم على محمد وآل محمد بكل أمر سلام[1].

---

(١) تفسير البرهان ٤٨٧ : ٤

وروى أبو يحيى الصنعاني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: قال لي أبي محمد قرء علي بن أبي طالب عليه السلام:

«انا انزلناه في ليلة القدر» وعنده الحسن والحسين، فقال له الحسين، يا أبتاه كأن بها من فيك حلاوة، قال له يابن رسول الله وابني إعلم اني أعلم فيها ما لا تعلم انها لما نزلت بعث اليّ جدك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقرأها عليّ ثم ضرب على كتفي الأيمن، وقال: يا أخي ووصيي ووليي على أمتي بعدي وحرب اعدائي إلى يوم يبعثون، هذه السورة لك من بعدي ولولديك من بعدك، ان جبرئيل اخي من الملائكة احدث لي إحداث أمتي في سنتها وانه ليحدث ذلك إليك كأحداث النبوة ولها نورٌ ساطع في قلبك وقلوب اوصيائك إلى مطلع فجر القائم[1].

ولابد من تلك التفاصيل التي أوردها الروايات عن تلك الليلة ليتسنى لنا معرفة احداثها التي تجري على يد من اصطفاه الله تعالى من عباده وهم خيرته وأمناءه محمد صلى الله عليه وآله وسلم والخلفاء من بعده.. فالروايات تؤكد ان ما ينزل من السماء لأمر الخلق لابد ان يتلقاه خليفته في أرضه ليكون له الطاعة على الخلق فتلك من ضروريات

---

(١) المصدر نفسه.

الاستخلاف، بل من ضرورات التنزيل لهذه الليلة المباركة.. ولعل في محاججة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام اظهارٌ بفضل ها التنزيل وذلك التلقي على من اصطفاهم الله وخصهم بتلك الليلة..

ففي احتجاجاته قال أمير المؤمنين عليه السلام في حديث طويل:

وإنما أراد الله بالحق إظهار قدرته وإبداء سلطانه وتبين براهين حكمته فخلق ما شاء كما شاء وأجرى فعل بعض الأشياء على أيدي من اصطفى من أمنائه فكان فعلهم فعله وأمرهم أمره كما قال: «من يطع الرسول فقد أطاع الله» وجعل السماء والأرض وعاءً لمن يشاء من خلقه ليميز الخبيث من الطيب مع سابق علمه بالفريقين من أهلهما وليجعل ذلك مثالاً لأوليائه وأمنائه، وعرّف الخليفة فضل منزلة أوليائه وفرض عليهم من طاعته مثل الذي فرضه لنفسه وألزمهم الحجة بأن خاطبهم خطاباً يدلّ على انفراده وتوحيده وأبان لهم أولياء أجرى أفعالهم وأحكامهم مجرى فعله، فهم العباد المكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون، هم الذين أيدهم بروح منه، وعرّف الخلق اقتدراهم بقوله: «عالم الغيب لا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى

من رسول» وهم النعيم الذي يُسأل عنه، إن الله تبارك وتعالى انعم بهم على من اتبعهم من أوليائهم.

قال السائل: من هؤلاء الحجج؟

قال:

هم رسول الله ومن حل محله من أصفياء الله بنفسه وبرسوله قرنهم الله بنفسه وبرسوله وفرض على العباد من طاعتهم مثل الذي فرض عليهم منها لنفسه وهم ولاة أمر الدين الذين قال الله فيهم:

﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾.

وقال الله فيهم:

﴿وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ﴾.

قال السائل: ما ذلك الأمر؟

قال عليه السلام:

الذي تنزل الملائكة في الليلة التي يفرق فيها كل أمر حكيم من خلق ورزق واجل وعمل وحياة وموت وعلم

غيب السماوات والأرض والمعجزات التي لا تنبغي إلا لله وأصفيائه والسفرة بينه وبين خلقه، وهم وجه الله الذي قال:

﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾.

هم بقية الله يعني المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف الذي يأتي عند انقضاء هذه النظرة فيملا الأرض عدلا كما ملئت جوراً، ومن اياته الغيب [كذا ورد والظاهر الغيبة] والاكتتام عند عموم الطغيان وحلول الانتقام، ولو كان هذا الأمر الذي عرّفتك، نبّأه النبي صلى الله عليه وآله وسلم دون غيره لكان الخطاب يدل على فعل ماضٍ غير دائم ولا مستقبل ولقال:

«نزلت الملائكة» «ويفرق كل أمر حكيم» ولم يقل: «تنزل الملائكة» «وفرق كل أمر حكيم».. إلى آخر المحاججة [١].

والرواية تؤكد على ان أولياء الأمر هم الأئمة والأمر هو ما تنزل به الملائكة من خلق ورزق واجل وعمل وحياة وموت إلى كل متطلبات الخلق على ان في الرواية إشارات مهمة نستعرضها فيما بعد.

---

(١) المصدر نفسه.

فاطمة وليلة القدر

وردت روايات تشير إلى أن الليلة المقصودة بليلة القدر هي فاطمة عليها السلام فما هي علاقة ليلة القدر بفاطمة؟!

لا يسعنا الآن إلا أن نستعرض بعض الروايات التي أشارت إلى ذلك لنقرأها قراءة توقفنا على بعض جوانب العلاقة بين فاطمة وبين ليلة القدر..

ومن تلك الروايات ما ورد في سؤال النصراني للإمام موسى بن جعفر عليه السلام في قوله: اخبرني عن الكتاب الذي انزل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم ونطق به ثم وصفه بما وصفت فقال:

﴿حمٓ ﴿١﴾ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ﴾.

ما تفسيرها في الباطن؟

فقال: اما «حم» فهو محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو في كتاب هود الذي انزل عليه وهو منقوص الحروف واما «الكتاب المبين» فهو أمير المؤمنين علي عليه السلام، اما «الليلة» ففاطمة عليها السلام وأما قوله «فيها يفرق كل أمر حكيم» يقول: يخرج منها خير كثير، فرجل حكيم

ورجل حكيم ورجل حكيم.. إلى آخر الرواية.

إن الوقوف عند معطيات الرواية تشير إلى ان ليلة القدر ذو الشرف العظيم يفصّل الأمر فيها على رجالٍ مصطفين، اصطفاهم الله تعالى لأمره، فالفيوضات الإلهية التي تُفاض على الأرض لا تُفاضُ دون ان يكون لها متلقياً يتلقى تلك الفيوضات بقابلياتٍ خاصةٍ لم تتوفر عند غيره، اذ آتاه الله إمكانية التلقي لهذه الفيوض، فهو قابلٌ له خصوصيته التي تنزل عليها هذه العطايا والأوامر الإلهية، ولابد لله في الأرض من شخص اصطفاه لهذه المهمة التي يتلقى فيها الفيوضات والتي من خلالها تُدار الكثير من الأمور وتدبر كذلك فيها العديد من الشؤون، وهؤلاء خلفاءه في الأرض وسفراءه بين خلقه، وقد ثبت ان هؤلاء المصطفين هم النبي وأهل بيته عليهم السلام.

العلاقة بين ليلة القدر وبين فاطمة عليها السلام

لذا فإن علاقة ليلة القدر بفاطمة ستكون على أساس ما ندرجه من وجوه:

الوجه الأول

إن ليلة القدر هي الليلة التي يفرّق فيها كل أمر حكيم، والأمر الحكيم هو «ما لا يتميز بعض أجزائه من بعض ولا يتعين خصوصياته

وأحواله كما يشير إلى ذلك قوله تعالى:

﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾(١)

وبمعنى آخر فإن الأمر الإلهي يتنزّل من مرحلة الإجمال إلى مرحلة التفصيل، ولابد لهذا التنزيل من متلقٍ يتلقاه، وهو الإمام المؤهل لتلقي هذه الفيوضات، على أن الأئمة المفاض عليهم هم من أولاد فاطمة عليها السلام كما أثبتته الأحاديث المتواترة عن النبي صلى الله عليهم وآله وسلم، وبذلك ستكون العلاقة بين ليلة القدر وبين الأمر الحكيم الذي يفرّق على الأئمة عليهم السلام الذين هم من ذرية فاطمة الزهراء، هي ذات العلاقة بين فاطمة الزهراء وبين أولادها الأحد عشر.

من هنا عرفنا علاقة ليلة القدر بفاطمة عليها السلام فهي علاقة وجود وإيجاد.

الوجه الثاني

إن من المقطوع به نزول القران في شهر رمضان لقوله تعالى:

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾(٢).

وان نزوله تحديداً في ليلة القدر.

---

(١) محمد حسي الطباطبائي تفسير الميزان ١٤٠:١٨

(٢) البقرة : ١٨٥

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾[١].

فيكون نزول القرآن في ليلة القدر من شهر رمضان وهذا لا خلاف فيه، ولما كانت العلاقة بين القران الكريم وبين أئمة أهل البيت عليهم السلام علاقةُ كشف وبيان، أي أن الإمام كاشف ومبين لآياته، فضلاً عن كون الإمام هو المصداق الأكمل لكل القران، فهو قرآنٌ ناطق، وهذه القرآنية هي إحدى وجوه الكشف عن إمكانية تحقق الكمال في الفرد القرآني الذي يمثله الإمام، كما أن القران ينقسم في وجوده إلى قرآن خطي وهو الموجود بين الدفتين والذي تتلى آياته، والى قران ناطق يمثله الإمام وهو الإنسان الكامل الذي تظهر فيه آيات الله كما تظهر في كتابه المجيد، فالإمام هو القران الناطق كما في صريح قول الإمام الصادق عليه السلام، فعن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

قلت: «هذا كتابنا ينطق بالحق» قال:

«ان الكتاب لا ينطق ولكن محمد وأهل بيته هم الناطقون بالكتاب»[٢].

فآيات الله إذن لا تقتصر على الكتاب الخطي الموجود بين الدفتين

---

(١) القدر: ١

(٢) الشيخ علي النمازي: مستدرك سفينة البحار باب نطق ٨٢: ١٠

وهو القرآن، بل لابد من تعزيز وجود هذا الكتاب بكتابٍ ناطق يترجم ما ورد في القران، فيكون هو الإمام الذي ينطق بالحق كما ينطق كتاب الله، ولما كان ذلك في الأئمة الأحد عشر فان فاطمة وعاء هذا القران الناطق كما ان ليلة القدر وعاء القران.. من هنا كانت العلاقة بين ليلة القدر وبين فاطمة عليها السلام.

الوجه الثالث

إن المكلفين لابد من تعاهدهم للقران في كل آن، وهذا التعاهد لا يقتصر على تلاوته فقط بل لابد من اتباعه والهدي بهداه، وكذلك أئمة أهل البيت فلابد من اتباعهم والهدي بهداهم، ولما كان تنزيل القرآن في ليلة القدر وعلاقته بها علاقة السبب بالمسبب، ووجوب تعاهدهم بوجوب اتباعهم والهدي بهداهم تماماً كما هو وجوب العناية بالقرآن واتباعه، وقد أكد الأئمة عليهم السلام أنهم القرآن الناطق، لبيان كاشفية الارتباط بينهم وبين القرآن.

ففي رسالة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يقول فيها:

«ان القرآن حق ونور وهدى ورحمة وشفاء للمؤمنين، والذين لا يؤمنون في آذانهم وقرٌ وهو عليهم عمى. يا معاوية، إن الله جل جلاله لم يدع صنفاً من أصناف الضلالة والدعاة إلى النار إلا وقد ردّ عليهم واحتج عليهم في القرآن

ونهى فيه عن اتباعهم، وانزل فيهم قرآناً قاطعاً ناطقاً عليهم وقد علمه من علمه وجهله من جهله، واني سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:

ليس من القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن وما من حرف إلا وله تأويل.

﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾.

الراسخون نحن آل محمد؛ وأمر الله ساير الأمة أن يقولوا:

﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

وان يسلموا لنا ويردوا علمه إلينا، وقد قال الله:

﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾.

هم الذين يسألون عنه ويطلبونه.. »[١]

وهذه الرسالة تكشف عن مدى العلاقة بين القرآن وبين أهل البيت عليهم السلام، ووجوب التمسك بهما، وهي علاقة لا تنفك ابداً، ورسالة الاحتجاج التي احتج بها الإمام عليه السلام على معاوية

---

(١) سُليم بن قيس الهلامي، كتاب سُليم ٢:٧٧١

تعد إحدى الوثائق المهمة في تأصيل هذه العلاقة - القرآن وأهل البيت - إذ من غير الممكن أن يحتج الإمام عليه السلام في امرٍ لم يكن قد تسالم عليه المسلمون وقتذاك، لذا كانت حجته دامغة ومقالته واضحة.

الوجه الرابع

إن سورة القدر تحكي استمرارية هذه الليلة في تنزيل الملائكة والروح فيها، فالأفعال المضارعة المشيرة إلى الاستمرارية تؤكد أفعال التنزيل «تنزل الملائكة» مما يشير إلى استمرارية التنزيل في كل ليلة قدرٍ من كل عام، ولو كان الأمر ماضياً لم يتكرر ولم يُستقبل لكان قوله تعالى «تنزلت الملائكة» وهو الاوفق، وكذلك قوله تعالى:

﴿يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ﴾.

مما يعني الاستمرار والاستقبال للأمر، فصيغة المضارعة تؤكد استمرارها.. ولابد أن يكون هذا الاستمرار والتنزيل على مخصوصين بهذا الأمر، إذ لم يدّعها احد غير أئمة أهل البيت عليهم السلام، فكانت هذه الليلة تنسب إليهم كما هم ينتسبون إلى فاطمة عليها السلام، ففاطمة لأهل البيت كليلة القدر لهم، ينتسبون إليها نسبة العلاقة غير المنفكة عن سببها ومسبباتها، وقد مر هذا الوجه من محاججة أمير المؤمنين عليه السلام.

الوجه الخامس

ما أوضحه الإمام أمير المؤمنين في محاججته من نسبة الأمر إليهم هو أمر التنزيل، وما ينزل في ليلة القدر، وذلك من خلال محاججته عليه السلام بقوله تعالى:

﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾.

وقوله تعالى:

﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾.

فلما استفهم السائل عن هذا الأمر قال عليه السلام:

الذي تنزل الملائكة في الليلة التي يفرق فيها كل أمر حكيم من خلق ورزق واجل وعمل وحياة وموت، فقد نسب الأمر إليهم، وهو الذي يفرّق في ليلة القدر فانتسابهم لهذه الليلة كانتسابهم لفاطمة عليها السلام.

الوجه السادس

ورد عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام انه قال:

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ الليلة فاطمة، والقدر الله، فمن عرف

فاطمة حق معرفتها فقد أدرك ليلة القدر، وانما سميت فاطمة لأن الخلق فُطموا عن معرفتها [١].

وهذا الحديث يشير إلى حالة الغيب التي تكتنف مقامات فاطمة عليها السلام، فالقدر هو الله تعالى -كما في الحديث الشريف - وفاطمة هي الليلة، والقدر إشارة إلى السر الغيبي الذي لا تدركه العقول وهو قدرته تعالى وعظمته، وفاطمة هي الليلة التي يكون القدر ظرفاً لها، فكأن فاطمة هي ظرف هذا القدر، أي هي التي تحوي هذه الأسرار، والأسرار هم أولادها أئمة أهل البيت عليهم السلام، فقد وردت أحاديث بأنهم هم غيب الله ومخزون سر الله، فلا يمكن إدراكهم بحقائقهم.

«يا علي ما عرفك إلا الله وأنت وما عرفني إلا الله وأنت وما عرفك إلا الله وأنا».

وما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في وصف الإمام:

فهل يُعرف أو يوصف أو يُعلم أو يُفهم أو يُدرك أو يُملك من هو شعاع جلال الكبرياء، وشرف الأرض والسماء جل مقام آل محمد عن وصف الواصفين ونعت الناعتين، وان يُقاس بهم احد من العالمين، كيف وهم الكلمة العليا

---

(١) المجلسي، البحار ٦٥ : ٤٣ح٨٥

والقسيمة البيضاء والوحدانية الكبرى التي اعرض عنها من أدبر وتولى، وحجاب الله الأعظم الأعلى فأين الاختيار من هذا، وأين العقول من هذا، والإمام بشرٌ ملكي وجسدٌ سماوي، وأمر الهي، وروح قدسي ومقام علي، نورٌ جلي، وسر خفي فهو ملكي الذات، الهي الصفات عالم بالمغيبات، وهم الأسرار الإلهية المودعة في الهياكل البشرية، الإمام الشمس الطالعة على العباد بالأنوار، فلا تناله الأيدي والأبصار، ظاهره أمر لا يملك، وباطنه غيب لا يدرك فمن ذا ينال معرفتنا، أو يعرف درجتنا أو يشهد كرامتنا».

وهذه الروايات وأمثالها تشير إلى حقيقة عدم الإمكان في معرفة مقاماهم عليهم السلام، وإدراك كنههم، فان ذلك غيب محجوب تبعاً لادراكاتنا العقلية التي لا تنال مقاماهم الإلهية.

وإذا كان الأمر كذلك فإن فاطمة هي مصدر هذا الغيب ووعاء ذلك الفيض الإلهي، وبما انه سبحانه غيب محجوبٌ كنه معرفته فان أئمة أهل البيت من مصاديق هذا الغيب الإلهي المكنون، وفاطمة هي مصدر هذا الغيب ووعاءه، فكانت فاطمة وعاء الغيب وظرفه كما الليلة وعاء القدر وظرفه كذلك.

«فمن عرف فاطمة حق معرفتها فقد أدرك ليلة القدر».

لا تـزال الروايـة في بيـان العجـز عـن إدراك معرفـة فاطمـة حـق معرفتها، كما هو العجز عن إدراك ليلة القـدر لـدى المكلفين، والإدراك لليلة القدر يتوقف على ما يبذله المكلف من جهدٍ جهيد في عبادته لله تعالى وما هو بمدركه كون قدرة المكلف لا تبلغ إدراك حق عبادته في تلك الليلة، فكذلك معرفة فاطمة حق معرفتها فهو يتناسب وما يبذله الإنسان للوصول إلى هذا الكنه وما هو ببالغه، فمتى ما أدرك ليلة القدر أدرك معرفة فاطمة.

ويمكن أن يكون معنى الإدراك هو إدراك الثواب والأجر، فمعرفة فاطمة حق معرفتها هو كاجر ليلة القدر فيما إذا أعطاها حقها تماماً دون أي تقصير فكذلك هو شأن إدراك ثواب معرفة فاطمة.

الوجه السابع

إن نورانية النبوة ومعها نورانية الإمامة تشكلان عنصراً غيبياً من عناصر المعرفة فضلاً عن عناصر التشكل الغيبي الذي يختص به النبي ومثله الإمام، وهذان الغيبان يجمعهما سرٌ من أسرار الخلقة والتكوين، ولهذا السر خصوصيته الغيبية المحضة بسبب هذا التوحد النوراني - النبوة والامامة - فينتج من خلالهما سراً غيبيا آخر يشتد فيه الغيب ليشكّل مركّباً غيبياً آخر يختلف عنهما إلا انه هما دون تخلف عنهما، تماماً

كخاصية المركب الذي لا يختلف عن مكوناته، ولما كان الغيب من الامور التشكيكية فإن اشتداده في فاطمة بسبب الافاضة النورانية للنبوة ومعها الإفاضة النورانية للإمامة فيكون غيباً في غيب، والرواية التالية تشير إلى ما قدمناه:

«أنها مجتمع نور النبوة والإمامة بعد انقسامه من عبد المطلب عليه السلام إلى عبد الله نور النبوة، ومنه لابنه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، ونور الإمامة من عبد المطب إلى أبي طالب إلى اميرالمؤمنين، واجتمع النور في الزهراء عليها السلام».

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:

إن الله خلقني وخلق علياً من نور بين يدي العرش، نسبّح الله ونقدسه قبل أن يخلق ادم بألفي عام.

فلما خلق ادم أسكننا في صلبه.

ثم نقلنا من صلب طيب وبطن طاهر حتى أسكننا صلب إبراهيم،

ثم نقلنا من صلب طيب وبطن طاهر إلى صلب عبد المطلب.

ثم افترق النور في عبد المطلب فصار ثلثاه في عبد الله وثلثه في أبي طالب.

ثم اجتمع النور مني ومن علي في فاطمة والحسن والحسين نوران من نور رب العالمين [١].

فالنورانية هي جهة من جهات الغيب ومن مختصاته سبحانه يفيض بها على من يشاء، اما كنه هذه النورانية وكيفية هذه الإفاضة فهي إحدى الأسرار التي اختص بها الله لنفسه كما اختص لنفسه خلق ليلة القدر وماهيتها وتشخيصها وتشخصها سوى ما أفاض على عباده المصطفين، ولما كانت فاطمة تحمل سر النبوة مضافاً إلى سر الإمامة المتمثلان بنورانيتهما فإن ذلك من مختصات علمه تعالى، كما كانت ليلة القدر من مختصاته سبحانه.

الوجه الثامن

تشترك ليلة القدر وفاطمة عليها السلام في بدء الخلقة، ففاطمة خُلق نورها قبل الخلق فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حديث طويل «..إلى أن قال:

ثم فتق نور ابنتي فاطمة، فخلق منه السماوات والأرض، فالسماوات والأرض من نور ابنتي فاطمة من نور الله، وابنتي فاطمة أفضل من السماوات والأرض..» [٢]

---

(١) عوالم العلوم سيدة النساء عليها السلام المستدركات: ١٧

(٢) نفس المصدر: ١٧

وإذا جمعنا معه حديث خلق ليلة القدر وانها أول ما خلق الدنيا كما ورد عن أبي جعفر عليه السلام قال:

لقد خلق الله جل ذكره ليلة القدر أول ما خلق الدنيا، ولقد خلق فيها أول نبي يكون وأول وصي يكون، ولقد قضى ان يكون في كل سنة ليلةً يهبط فيها بتفسير الأمور إلى مثلها من السنة المقبلة، من جحد ذلك فقد رد على الله عز وجل علمه لأنه لا يقوم الأنبياء والرسل والمحدثون إلا ان يكون حجة بما يأتيهم في تلك الليلة.. إلى ان قال عليه السلام: وايم الله لقد نزل الروح والملائكة بالأمر في ليلة القدر على ادم، وايم الله ما مات ادم إلا وله وصي وكل من بعد ادم من الأنبياء قد أتاه الأمر فيها..»[1]

وبذلك فإن ليلة القدر من الأهمية بمكان حتى كانت من أوائل الخلقة في خلق الدنيا، وفاطمة من أول الخلق أي قبل خلق ادم، فالتنويه إلى الشأنية التي تميزت بهما - فاطمة وليلة القدر - وشرف الأسبقية مما لا خلاف فيه، فالتقدم الرتبي يحكي عن الحاجة للسابق، حاجة المعلول لعلته، فالحاجة إلى العلة فرضتها أسبقية العلل على معلولاتها، وهكذا

---

(١) مرآة العقول ٣: ٩٠ كتاب الحجة باب في شأن إنا أنزلناه في ليلة القدر

تشترك فاطمة مع ليلة القدر في شرف الأسبقية والتقدم على جميع الأشياء.

وهذا يشير إلى حقيقة الحجية في التقدم والأسبقية إذ الحجة تتقدم على المحجوج عليه تقدم العلة على معلولها، ففاطمة كونها حجة متقدمة على جميع الأشياء كما هي ليلة القدر حجة الله على العباد بما لها من الشأنية والمقام في انها «يفرق كل أمر حكيم»، إذ ليلة القدر فيها تدبير الأمور والتنزيل على النبي أو الإمام فبليلة القدر تتم الحجة البالغة على العباد كما أن بفاطمة تمت الحجة على العباد لأنها أم الأئمة وأصل الحجج.

الوجه التاسع

سُئل أبو عبد الله عليه السلام عما يفرق في ليلة القدر هل هو ما يقدر سبحانه وتعالى فيها؟ قال:

لا توصف قدرة الله تعالى إلا انه قال:

﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾.

فكيف يكون حكيماً إلا ما فرق ولا توصف قدرة الله سبحانه لأنه يحدث ما يشاء واما قوله:

﴿خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾.

يعني فاطمة في قوله تعالى:

﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا ﴾.

والملائكة في هذا الموضع المؤمنون الذين يملكون علم آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، والروح روح القدس وهي فاطمة عليها السلام.

﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ﴾.

يقول كل أمر سلّمه حتى يطلع الفجر يعني حتى يقوم القائم عليه السلام[1]

ظاهر الرواية تشير إلى تنزيلين يمكن الوقوف عندهما:

التنزيل الأول: وهو ما يقوم به الملائكة من نزول الأمر كالأرزاق والآجال وغيرهما على صاحب الأمر وهو إمام عصر كل وقت، والملائكة هنا هم الملائكة المعهودون ومعهم الروح وهو ملك عظيم أعظم من الملائكة - كما أشارت إلى ذلك الروايات -.

التنزيل الثاني: هو تنزيل الأمر على الإمام - أي الإمام في كل عصر - بأمرٍ أعظم من الأرزاق والآجال وغيرهما، ولعله علم ما كان وما هو كائن وما سيكون إلى يوم القيامة، وتعبير الإمام الصادق عليه

(١) البرهان في تفسير القرآن ٤٨٧ : ٤

السلام بأن الملائكة في هذا الموضع هم المؤمنون الذين يملكون علم آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، أي يملكون علماً ما وراء علم الآجال والأرزاق، يزودون به الإمام الحاضر ومعهم الروح وهي فاطمة عليها السلام، والتعبير بالروح - لعله - بمعنى الأصل لان لفظة الأم لغةً تعني الأصل فهي أصل الملائكة المنزلين وهم الأئمة فينزلون بعلوم آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم كما أشارت إليه الرواية:

«الذين يملكون علوم آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم».

وهذا الحصر تخصيصي أي تخصيصٌ بعلوم آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو تأكيد إلى ما اشرنا إليه من أنهم يتنزلون على الإمام بعلوم لا يختص بها إلا الإمام وقد وردعنهم عليهم السلام أنهم يزدادون في علمهم، خصوصاً ليلة الجمعة فإنهم يزادون فيها كما ورد في الروايات التالية:

عن المفضل قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام ذات يوم - وكان لا يكنيني قبل ذلك -:

يا أبا عبد الله.

فقلت له: لبيك جعلت فداك قال:

إن لنا في كل ليلة جمعة سروراً.

قلت: زادك الله وما ذاك؟ قال:

انه إذا كان يوم الجمعة وافى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم العرش ووافى الأئمة معه ووافينا معهم، فلا تُرد أرواحنا إلى ابداننا إلا بعلم مستفاد، ولولا ذلك لانفدنا [1].

والرواية التالية تفصل لنا ذلك أكثر:

عن أبي جعفر عليه السلام قال:

إن لنا في ليالي الجمع لشأناً من الشأن.

قلت: جعلت فداك أي شأن؟ قال:

تؤذن للملائكة والنبيين والأوصياء الموتى ولأرواح الأوصياء الاحياء والوصي الذي بين ظهرانيكم، يعرج بها إلى السماء، فيطوفون بين عرش ربهم اسبوعاً وهم يقولون: سبوح قدوس رب الملائكة والروح حتى إذا فرغوا صلّوا خلف كل قائمة له ركعتين، ثم ينصرفون فتنصرف الملائكة بما وضع الله فيها من الاجتهاد شديداً اعظامهم لما رأوا، وقد زيد في اجتهادهم وخوفهم مثله، وينصرف النبيون والأوصياء وأرواح الاحياء شديداً عجبهم، وقد فرحوا اشد الفرح لأنفسهم،

---

(١) بصائر الدرجات الكبرى للصفار ٢٦٧ : ١

ويصبح الوصي والأوصياء قد أُلهموا الهاماً من العلم، علماً جماً مثل جم الغفير ليس شيء اشد سروراً منهم..»[1]

وفي رواية أخرى: عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

إن لنا في كل ليلةِ جمعة وفدةً الى ربنا فلا ننزل إلا بعلم مستطرف[2].

وهذا أمر من الضروريات فكل ما عداه سبحانه محتاجٌ فقيرٌ إليه، ولا تُسد حاجة المحتاج إلا بالإفاضة واللطف، أي الإفاضة فيها حالة العلو والاستغراق لمن يُفاض عليه وهو في حالة الدنو والحاجة، فالإفاضة من العالي إلى الداني تبعاً لقانون الفيض الإلهي الذي يُغدق على من دونه، وعلمه إحدى إفاضاته ولما كان علمه ذاته فهو غير محدودٍ بحدود ولا متحيز بظرف وقتٍ أو مكان ومقتضى ذلك ان لايحاط بعلمه احد إلا بإذنه.

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾.

ومن شاء هم أهل طاعته وولايته وهي اقرب مصاديق الاشاءة، والأنبياء والأوصياء هم اجلى مظاهر أهل الطاعة والقرب الذين

---

(١) بصائر الدرجات ٢٦٨:١ ـ ٢٦٩

(٢) المصدر نفسه

يستحقون الإفاضة الربانية عليهم من علمه تعالى.

ولا يخفى انه سبحانه له ربوبيةٌ خاصة وشأن غير الآن السابق [١]

﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[٢].

فعلمه حادث له ديمومة البقاء كما ان له ديمومة الحدوث، كما ان علمه قديم كونه عين ذاته، وعلم الأئمة عليهم السلام حدوثاً وبقاءً من علمه تعالى لا ينفك عنه لذا فالإغداق عليهم من شأنه كمفيضٍ مدبرٍ رب، ومن شأنهم ان يفاض عليهم كمربوبين خلفاء حجج، فالتدبير منه لهذا الخلق بإفاضة علمه تعالى على حججه لتكتمل الحجة البالغة على عباده «ولله الحجة البالغة».

والتعبير عن فاطمة بالروح فهي الروح المطهرة المفاضة من قبل الله بواسطة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لقوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«فاطمة بضعة مني».

وليس التبعيض هو التبعيض الجسدي بقدر ما هو تبعيضاً روحياً سريانياً منه صلى الله عليه وآله وسلم وإليها عليها السلام.

---

(١) انظر مواهب الرحمن في تفسير القرآن للسيد السبزواري ٢٦٢ : ٤

(٢) الرحمن : ٢٩

وبهذا البيان فهي أم الأئمة لا بالمعنى الاصطلاحي المتعارف بل هي أصلهم ولها القيمومة عليهم كما هي قيمومة النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أوصيائه «فاطمة بضعة مني» فهي امتداده صلى الله عليه وآله وسلم وبذلك فهي الأصل لهم تغدق عليهم من العلم كما تغدق الملائكة عليهم من قبل الله تعالى، ويتحقق ذلك في ليلة القدر خصوصاً؛ فتكون فاطمة هي روح القدس التي تنزل على الحجة في ليلة القدر المباركة.

الوجه العاشر

إن القرآن الكريم يحوي على آيات بينات محكمات وأخر متشابهات، ومعنى ذلك ان الآيات بين نصٍ ظاهرٍ جلي لا يحتاج معه إلى بيان، وبين آيات متشابهات يكون فيها العام والخاص، والمطلق والمقيد إلى غير ذلك من المجملات التي يحتاج إلى من يفسرها ويفصلها وهذا التفصيل يكون على مرحلتين:

الأولى: تفصيلٌ تتكفل في بيانه ليلة القدر حيث ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ ومما يفرق من الأمر الحكيم هي الآيات القرآنية المتشابهات التي يفصلها ويفسرها سبحانه في تلك الليلة لصاحب تلك الليلة وهو صاحب الأمر.

الثانية: تفصيلٌ يتعهد به مَن فُصلت له هذه الآيات المتشابهات

عند ليلة القدر، فهو المؤتمن بها، والقيم عليها، والمتكفل بإيصالها وإيضاحها إلى المكلفين دون أدنى تقصير وهؤلاء هم أولو الأمر، وأصحاب ليلة القدر التي تتنزل عليهم الملائكة والروح ليفصلوا لهم القرآن كما يفصلوا لهم كل أمور الخلق وشؤونهم، وهؤلاء - بعد التحقيق الذي سلف على أساس الروايات - هم أئمة أهل البيت عليهم السلام وأمهم فاطمة هي مصدر وعائهم العلمي والمعرفي القرآني.

إذن لما كانت ليلة القدر وعاء المعارف القرآنية ومفصلاتها ومعارفها، فإن فاطمة وعاء هذه المعارف ومصادر هذا العلم الذي يتعهده ولاة الأمر الذين يرجعون بانتسابهم العلمي إلى فاطمة كما هم بانتسابهم النسبي إليها.

من هنا علمنا قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم «إني مخلفٌ فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا عنهما ابداً»، وعدم الافتراق هو مواصلة ليلة القدر واستمرارها بوجودهم عليهم السلام، أي أن الحجة ملازمٌ وجوده بوجود ليلة القدر.

الوجه الحادي عشر

إن من معاني القدر هو تقدير الولاية لائمة أهل البيت عليهم السلام، وفاطمة مصدر هذه الولاية ووعائها، وهذا المعنى رواه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال:

قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا علي أتدري ما معنى ليلة القدر؟

فقلت: لا يا رسول الله.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

إن الله تبارك وتعالى قدّر فيها ما هو كائن إلى يوم القيامة، فكان فيما قدّر عزوجل ولايتك وولاية الأئمة من ولدك إلى يوم القيامة [١].

وهذا التقدير بمعنى الفرض، أي فرض عزوجل ولايته وولاية الأئمة من ولده إلى يوم القيامة، فهو في ليلة القدر فرض تأكيد لا فرض تأسيسي، فقد كان فرض ولايتهم قبل ليلة القدر بل مفروضةٌ في عالم الذر، وبذلك فصار إدراك الولاية من متطلبات الإيمان، من هنا نعرف معنى قوله عليه السلام:

«الليلة فاطمة والقدر الله فمن عرف فاطمة حق معرفتها فقد أدرك ليلة القدر».

أي ان إدراك ليلة القدر هو إدراك ولايتهم عليهم السلام وفاطمة هي أصل هذه الولاية.

---

(١) البرهان في تفسير القرآن ٤٨٧ : ٤

الوجه الثاني عشر

إن وحدة الاشتراك بين ليلة القدر وبين فاطمة عليها السلام هي حالة الإخفاء وعدم المعرفة بهما، وسيكون هذا الاشتراك على صور:

الصورة الأولى- اُخفيت ليلة القدر على العباد ليجتهدوا في عبادة الشهر كله، فإذا شُخصت تلك الليلة ضعفوا عن العبادة في غيرها من الليالي وبذلك فسيكون التقصير عن تلك الليالي بسبب معرفة الناس ليلة القدر وإحراز ثوابها الذي يعدل ألف شهر ليس فيها ليلة القدر.

الصورة الثانية- ومما اُخفي كذلك على الناس هو مقام فاطمة عليها السلام ومرتبتها عند الله، فلو اطلع الناس على هذه المرتبة وذلك المقام لانشغلوا عن أئمة أهل البيت عليهم السلام لتعلقهم بعظمة اسرارها عليها السلام، وستكون حالة التقصير عن مقامات أئمة أهل البيت عليهم السلام لدى الناس سبباً في تقصيرهم حتى في مقام أمهم فاطمة عليها السلام، لذا فإن من المناسب إخفاء هذه المقامات ليجتهد الناس في البحث عنها والتوجه كذلك لمقامات أولادها عليهم السلام وليشعروا بحالة التقصير الدائم عن بلوغ إدراكها وهذا الشعور بالتقصير يدفع نحو العمل الأفضل والبحث الأكمل للوصول إلى مراتب سمو مقاماتهم عليهم السلام.

الصورة الثالثة- ان الإخفاء لم يتعلق بمقامات فاطمة فقط، بل

تعدى ذلك إلى إخفاء قبرها وتاريخ شهادتها، مما دعى إلى السعي الحثيث عن البحث المتواصل لادراك ذلك السر؛ مجهولية القبر ومجهولية الشهادة، مما أعطى زخماً كبيراً لقضية فاطمة عليها السلام ليعطي ابعادا أخرى لما وراء الشهادة وإخفاء القبر، وامتازت بذلك قضية الزهراء عليها السلام بميزة الإخفاء وعدم الإدراك لشأنها على كل المستويات مما أعطى خصيصةً أخرى تضاف إلى خصائص فاطمة عليها السلام.

الصورة الرابعة- وليلة القدر كذلك، فإن حالة الإخفاء وعدم التشخيص أعطى بُعداً اخر لليلة القدر من دون الليالي الرمضانية وغيرها، وهذا الخفاء أعطى لهذه الليلة اهتماماً واسعاً وترقباً خاصاً من لدن الناس لادراك ليلة القدر، على ان الإخفاء هو من سمات العظمة والشأنية فهناك مناسبات اُخفيت عن العباد كما في إخفاء الصلاة الوسطى من بين الصلوات الخمس، وإخفاء ساعة الإجابة من بين ساعات ليلة الجمعة، وهكذا إخفاء الاسم الأعظم من بين الأسماء.

الصورة الخامسة- ان فائدة الإخفاء هو انشداد الناس وتوجههم إلى المخفي بأي وسيلةٍ كانت، لذا فانشداد الناس لليلة القدر لا يقل عن انشدادهم للسيدة فاطمة عليها السلام مما أدى ذلك إلى قوة الارتباط بالمخفي لبلوغ ثوابه وإدراك شأنه.

الوجه الثالث عشر

اشتركت ليلة القدر مع فاطمة بقوة الحجة والغلبة عند الخصومة وذلك من وجهين:

الأول: ان وصف ليلة القدر كانت من أهم المحاججات لدى أئمة أهل البيت عليهم السلام على خصومهم فهي - أي ليلة القدر - اختصت بهم عليهم السلام، ذلك ان نزول الملائكة والروح لابد ان يكون على الإنسان الكامل في الأرض، ولم نجد من تنطبق عليه صفة الكمال سوى الإمام المعصوم، فالملائكة لا تنزل إلا عليهم دون غيرهم، وهي من مختصاتهم دون سواهم، واستمرارية ليلة القدر في كل عام إلى يوم القيامة يعني وجوب استمرارية الحجة على الأرض، لذا فليلة القدر من ملازمات الإقرار بالحجة، ولا تكون ليلة قدر دون ان تكون حجةً تنزل عليه الملائكة وهو الإمام، وإلا لبطلت هذه الليلة ولم تتحقق بحال لعدم وجود صاحبها والمؤهل لها وهو الإمام، لذا فإن ارتفاع هذه الليلة يعني ارتفاعٌ للقرآن عن هذه الأرض، ولما كان القرآن باقياً ما بقي الليل والنهار، فلابد من بقاء الحجة ما بقي الليل والنهار وهو مآل قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض».

فليلة القدر من اقوى الحجج التي يخاصم بها شيعة أهل البيت

خصومهم مما دعى أئمة أهل البيت عليهم السلام ان يجتهد شيعتهم في المخاصمة بهذه الليلة حتى ورد عن أبي جعفر عليه السلام قال:

يا معشر الشيعة خاصموا بسورة إنا أنزلناه في ليلة القدر تفلحوا، فوالله انها لحجة الله تبارك وتعالى على الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وانها لسيدة دينكم، وانها لغاية علمنا، يا معشر الشيعة خاصموا

بـ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾.

فإنها لولاة الأمر خاصة بعد رسول الله، يا معاشر الشيعة يقول الله تبارك وتعالى:

﴿وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ﴾.

قيل: يا أبا جعفر نذيرها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال:

صدقت وهل كان نذيرا وهو خلوٌ من البعثة في أقطار الأرض.

فقال السائل: لا، فقال أبو جعفر:

أرأيت بعيثه أليس نذيره، كما ان رسول الله في بعثه من الله نذير.

فقال: بلى. قال: فكذلك لم يمت محمد إلا وله بعيث نذير.

قال:

فإن قلت لا فقد ضيّع رسول الله من في أصلاب الرجال من أمته.

قال: وما يكفيهم القرآن. قال:

بلى، ان وجدوا له مفسّراً.

قال: وما فسره رسول الله؟ قال:

بلى قد فسّره لرجل واحد، فسر للأمة شأن ذلك الرجل وهو علي ابن أبي طالب عليه السلام.

قال السائل: يا أبا جعفر كان هذا أمر خاص لا يحتمله العامة؟

قال:

أبى الله ان يعبد سراً حتى يأتي أبان اجله الذي يظهر فيه دينه، كما انه كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع خديجة عليها السلام مستتراحتى أمره بالإعلان.

قال السائل: فينبغي لصاحب هذا الدين ان يكتم؟ قال:

أو ما كتم علي ابن أبي طالب يوم اسلم مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى اظهر أمره؟

قال: بلى. قال:

فكذلك أمرنا حتى يبلغ الكتاب اجله [1]

وهذا يعني ان قوة المحاججة بهذه الليلة - ليلة القدر - هي من أهم حجج أئمة أهل البيت عليهم السلام لإسكات خصومهم، وايصاء شيعتهم بأن تكون حجتهم الداحضة هي سورة القدر لما لها من ميزات اثبات مقامات الإمام وشأنه، والدفاع عن معنى الإمامة التي عانت الكثير من محاولات الإلغاء والتهميش والدعاوى الباطلة،فكانت هذه الليلة هي من مبتنيات الدفاع المهم عن حقوقهم عليهم السلام.

الثاني: شكّلت قضية الزهراء عليها السلام منعطفاً خطيراً في سياقات المحاججات التي جرت بين أهل البيت عليهم السلام وخصومهم.

فالسيدة الزهراء كانت الرائدة في إثبات حقوق الأئمة عليهم السلام، وبيان معاني الإمامة ومقاماتها، فالجهد الذي بذلته فاطمة الزهراء من اجل تعزيز الرؤية الصحيحة للمسلمين حيال الإمامة وحقائقها كان جهداً استثنائياً بذلته السيدة فاطمة عليها السلام من

---

(١) البرهان في تفسير القرآن ٤٨٣ : ٤

اجل إثبات الكثير من الحقائق ولولا ذلك لاختطفت مفاهيم الإمامة منذ ذلك اليوم الذي اختطفت فيها حقوق أهل البيت في أحقيتهم للخلافة، ولم تسعَ السيدة الزهراء عليها السلام في نقل الخلافة المغتصبة ونقلها إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بقدر ما كانت تسعى إلى بيان حقيقة الإمامة ومفهومها فإن ذلك أمر من الخطورة بمكان لا يوازيه نقل الخلافة المغتصبة من خاطفيها، فقد كان يوم السقيفة يوماً سحق معه المباني النبوية والتاسيسات التي أرسلها الجهد النبوي المنصب على بيان الإمام والإمامة، فمفاهيم الإمامة اُحيلت إلى تسابقات مناصب في نظر قريش، والتدافع الذي كان في ذلك اليوم كاد ان يسحق الإمامة ليحيلها إلى مناصب يتقاسمها أهل السقيفة فيما بينهم، فقد صار منصباً حكومياًاكثر من كونه مفهوماً الهياً، لذا فقد استنفذت وقفة الزهراء عليها السلام وإصرارها على بيان الحقائق تلك المفاهيم الإلهية المتآمر عليها من قبل قريش، فكانت خصوماتها مع أبي بكر تفويضا لشيعتها في الخصومة مع مخالفيهم، فقد أظهرت حجتها البالغة يوم وقفت في مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم تبين خطأ الاختيار ومحاولات التضييع لأهم حقيقة الهية وهي الإمامة، وبدت على أبي بكر حالة الذهول وانهيار ما سعى إليه في تحريف الحقائق، فكانت تلك الخطبة الفاصل الحقيقي بين الواقع وبين التآمر الذي ارتكبه

القريشيون آنذاك، وأعطت هذه الخطبة مع محاولات بيان فضل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام مضافاً إلى بيانات عن الإمامة ومعناها، أعطت زخماً قوياً لشيعتها في قوة المحاججة وفلج المخاصمة، حتى ان الشيعي يجد ان قضية الزهراء تشكل منعطفاً خطيراً في الاحتجاجات التي تحدث بين الخصوم فتكون حجة الشيعة ظاهرةً قوية.

من هنا فقد اشتركت السيدة الزهراء عليها السلام مع ليلة القدر في كونها من أهم المحاججات التي يتمتع بها الشيعة حيال خصومهم، وهذه من أهم المشتركات بين فاطمة وبين ليلة القدر.

الوجه الرابع عشر

ان وجه الاشتراك بين فاطمة عليها السلام وبين ليلة القدر يظهر من خلال التفريق بين المتشابهات وتفصيل الأمور وبيانها وذلك من خلال تفريقين احدهما أعظم من الأخر:

التفريق الأول: وهو ما تتعهده ليلة القدر حيث التفصيل بين الأمور المجملة وهو يتضمن تفريق ما بين الأمور المتشابهة وتعيينها فضلاً عن التفريق بين المؤمن والكافر كما في بعض الآراء التي أوردها النحاس في معاني القرآن [1]. وهذا التفريق بين الأمور وتعيينه احد مهام ليلة القدر.

---

(١) معاني القرآن ٦:٣٩٥

التفريق الثاني: وهو التفريق بين الحق والباطل التي سعت إلى بيانه فاطمة الزهراء عليها السلام في خطبتها وعلى قاعدة «يفرق فيها كل أمر حكيم» فالمحكمات حسب القاعدة الأولية تؤول إلى تفاصيلها العامة وتتفكك إلى جزئياتها التكوينية لها، على ان فاطمة كانت هي الفارق بين الحق والباطل وذلك من خلال قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حقها:

فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني [(١)].

وما رواه المناوي عنه صلى الله عليه وآله وسلم انه قال:

فاطمة بضعة مني يقبضني ما يقبضها، ويبسطني ما يبسطها، وان الانساب تنقطع يوم القيامة غيرنسبي [(٢)].

وعن أبي حنظلة انه صلى الله عليه وآله وسلم قال:

إنما فاطمة بضعة مني فمن آذاها فقد آذاني.

وفي حديث عبد الله بن الزبير قال: قال صلى الله عليه وآله وسلم:

---

(١) صحيح البخاري باب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم باب مناقب قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

(٢) اتحاف السائل بما لفاطمة من المناقب :٣٣ دار الكتب العلمية بيروت ٢٠٠٩

انما فاطمة بضعة مني يوذيني ما آذاها ويغضبني ما يغضبها [١].

وعن مجاهد قال: خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو اخذٌ بيد فاطمة فقال:

من عرف هذه فقد عرفها، ومن لم يعرفها فهي فاطمة بنت محمد، وهي بضعة مني، وهي قلبي وروحي التي بين جنبي، فمن آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله تعالى [٢].

ولم يكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يؤكد على ذلك حتى أراد ان يجعل فاطمة هي حقيقة التفريق بين الحق والباطل، فغضب فاطمة غضب النبي، وإيذائها إيذاء النبي وإيذاءه صلى الله عليه وآله وسلم إيذاء الله تعالى فالنتيجة ان إيذاء فاطمة هو إيذاء الله، ولا يتحقق ذلك الا لكون فاطمة هي الحق، وهي المفرق بين الحق والباطل.

فالتفريق إذن هو التفريق بين الحقائق وكذلك بين المفاهيم المختلطة، من هنا كانت حركة فاطمة عليها السلام بُعيد رحيل النبي صلى الله عليه وآله وسلم حركة تفريق بين الحقائق المختلطة في مفاهيم السقيفة، وكانت تؤكد في علاقتها عليها السلام على صحة هذا وبطلان ذاك، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يعلم ما سيكون من بعده من

---

(١) نفس المصدر

(٢) أهل البيت فاطمة الزهراء توفيق أبو علم : ١٠٥ دار المعارف القاهرة

حـالات الانحـراف والتـشويه ومـا يـصاحب ذلـك مـن تـشويه المبـادئ والمفاهيم، ولابد لهذه الحركة العنيفة التي تسحق معها المبادئ من مواجهةٍ اعنف وعلى مستوى يذعن إليه الجميع، والزهراء عليهـا الـسلام بمـا لهـا من مكانة من بين المسلمين سعى إلى تأسيسها النبي صـلى الله عليـه وآلـه وسلم وأكد قواعدها ووثقها من خلال ما ذكرنـاه مـن الأحاديـث المبينـة لمقامات فاطمة وشأنها وانها «بضعة مني» أي الامتداد السرياني للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وكونها الوريثة له ولها القيمومة على الأمة من بعـده كما هو الشأن في علي ابن أبي طالب عليه السلام، ولمـا كانـت الظـروف القاهرة لم تتح للإمام أمير المـؤمنين عليـه الـسلام القيـام بمهمـة القيمومـة على الأحداث الطارئة بُعيد رحيل النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقـد كانت الزهراء لها الإمكانية في ذلك لمـا لهـا الحـصانة النبويـة الـتي أسستها أحاديثـه صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم، فكـان للزهـراء الـدور الأول في الفصل بـين الأحـداث المتـشابكة، والتفريـق بـين المفـاهيم المـضطربة الـتي أحدثتها الـسقيفة، ونجحـت الجهـود الفاطميـة في إيقـاف مـد الانحرافـات الهائجة التي تسحق معها كـل مبـادئ الإسـلام وأسـسه وتطـيح بالرسـالة النبوية لتلغيها تمام الإلغاء، وذلك من خلال الحصانة النبوية «يغضبني مـا يغضبها» فغضب الزهراء لا يكـون الا مـن باطـل ورضـاها لا يكـون الا لحق، لذا فإن الغضب والرضا الفاطمي غضبٌ ورضا الهي بامتيـاز يفـرّق

من خلاله بين الحق والباطل وبين الكفر والإسلام، وبين النفاق والإيمان، فهو حداً فاصلاً بين هذه المفاهيم لا يميزه ولا يفرقه إلا موقف فاطمة المحصّن بأحاديث النبي والمعزز بوصاياه فيها.

وبهذا استطاعت السيدة الزهراء عليها السلام التفريق بين الحق والباطل، وبين القيم والمبادئ الأصيلة، وبينها وبين المدعيات التي أحدثتها السقيفة.

من هنا نجد الاشتراك بين ليلة القدر وبين فاطمة عليها السلام في حقيقة التفريق بين المتشابهات، وإيضاح الحقائق، والتفريق بين مجملات الأمور ومبهماتها.

وخلاصة القول

ان الترابط الذي أوردته الروايات الشريفة في علاقة ليلة القدر بفاطمة الزهراء هي علاقة تنبع من عدة معطيات تلخصها الوجوه الأربعة عشر:

أولاً: علاقة العلية بين ليلة القدر وبين الأئمة المفاض عليهم، كالعلاقة العلية بين أمهم فاطمة الزهراء وبين أولادها الأئمة المعصومين، فهي لا تنفك في ارتباطها، ارتباط العلة بمعلولها.

ثانياً: لما كان نزول القرآن في ليلة القدر كما عليه جميع المسلمين

فان لهذه الليلة علاقة الظرفية بالقرآن حتى نسبت إليها، ولما كان الإمام ـ وهو الفرد الكامل ـ يمثّل القرآن الناطق، فان العلاقة بين فاطمة وبين الأئمة القرآن الناطق ـ علاقة ظرفية.

ثالثاً: وجوب تعاهد المكلفين لفاطمة الزهراء عليها السلام من خلال أولادها المعصومين، كما هو وجوب تعاهد المكلف للقرآن، وهذا التعاهد يعني الاتباع والطاعة والاهتداء بما في القرآن كما هو الاهتداء بأهل البيت عليهم السلام، ولما كان تنزيل القرآن ليلة القدر فهي وعاء القرآن فكذلك فاطمة وعاء ائمة أهل البيت ذلك القرآن الناطق.

رابعاً: ان ليلة القدر تُنسب إلى أهل البيت لما يكون من تنزيل التفصيل عليهم، نسبت ليلة القدر إليهم كما هم ينتسبون إلى فاطمة الزهراء عليها السلام نسبة العلاقة غير المنفكة عن سببها ومسبباتها.

خامساً: كونهم "أولي الأمر" كما في قوله تعالى:

﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾.

والأمر هو الذي يتنزل عليهم ليلة القدر فانتسابهم لهذه الليلة انتساب مفاعلة أي فعل وانفعال شأني حدوثي فكما تفيض عليهم ليلة القدر شأناً، فأنهم يفيضون عليها حدوثاً، فلولاهم لما كانت ليلة القدر كما ان ليلة القدر لولاها لما عرف شأنهم عليهم السلام، كما هي

العلاقة بين أمهم وبينهم شأناً وانتساباً.

سادساً: حالة الغيبية التي تتصف بها ليلة القدر كحالة الغيبية التي تتصف بها حقائق فاطمة ومقاماتها، فكما اننا لم نعرف ماهية القدر فكذلك لا يمكن الوصول إلى معرفة حقيقتها عليها السلام.

سابعاً: كما ان نورانية فاطمة غيب اختص بها تعالى، فكذلك ليلة القدر فهي من مختصاته تعالى.

ثامناً: اشتراك ليلة القدر وفاطمة عليها السلام في بدء الخلقة، فخلق ليلة القدر كان أول خلق الدنيا وان فاطمة عليها السلام خلق نورها قبل الخلق.

تاسعاً: ان فاطمة الزهراء عليها السلام أم الأئمة لا بالمعنى الاصطلاحي المتعارف بل هي أصلهم ولها القيمومة عليهم كما هي قيمومة النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أوصيائه لقوله« فاطمة بضعة مني» فهي امتداده صلى الله عليه وآله وسلم وبذلك فهي الأصل لهم تغدق عليهم من العلم كما تغدق الملائكة عليهم من قبل الله تعالى، ويتحقق ذلك في ليلة القدر خصوصاً، فتكون فاطمة هي روح القدس ـ حسب الروايات ـ التي تنزل على الحجة في ليلة القدر المباركة.

عاشراً: لما كانت ليلة القدر وعاء المعارف القرآنية ومفصلاتها ومعارفها، فان فاطمة وعاء هذه المعارف ومصادر هذا العلم الذي

يتعهده ولاة الأمر الذين يرجعون بانتسابهم العلمي إلى فاطمة كما هم في انتسابهم النسبي إليها.

حادي عشر: ان من معاني القدر هو تقدير الولاية للائمة عليهم السلام، وفاطمة مصدر هذه الولاية ووعائها كما ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

ثاني عشر: ان وحدة الاشتراك بين ليلة القدر وبين فاطمة عليها السلام هي حالة الإخفاء وعدم المعرفة بها ويكون على صور ذكرناها في محله.

ثالث عشر: اشتركت ليلة القدر مع فاطمة بقوة الحجة والغلبة عند الخصومة وذلك من وجهين ذكرناها في محلها كذلك.

الرابع عشر: ان وجه الاشتراك بين فاطمة عليها السلام وبين ليلة القدر يظهر من خلال التفريق بين المتشابهات وتفصيل الأمور وذلك من خلال ما بيناه في محله.

هذا ما أمكننا ان نستخلص من الروايات في العلاقة بين فاطمة الزهراء عليها السلام وبين القدر ليتسنى لنا الوقوف على مقاماتها عليها السلام بل ومقامات أبنائها المعصومين حلفاء القرآن وتراجمته.

و الحمد لله رب العالمين على عطائه وإفاضاته.. وقد تم الانتهاء

من هذه الرسالة الفاطمية عصر السابع عشر من جمادى الآخرة ونحن مقبلون على ولادة سيدة نساء العالمين فاطمة (صلوات الله عليها) راجياً ان تتحفني بنظرتها الرؤوفة، آملا شفاعتها لي ولوالدي ولولدي ولمن خصني ولجميع شيعتها عليها السلام.

١٧ جمادى الآخرة ١٤٣٢ هـ

المحتويات

المنهج النبوي..

والتأصيل للقضية الفاطمية..